سعيُ الأمة نحو الخـلافة

٢ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ - ٣ آذار/مارس ٢٠١٤م

حزب التحرير

ولاية مصر

سعيُ الأمة نحو الخـلافة

٢ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ - ٣ آذار/مارس ٢٠١٤م

حزب التحرير

ولاية مصر

قال رسول الله ﷺ:

«تكونُ النُّبُوَّةُ فيكمْ ما شاءَ اللّهُ أنْ تكون، ثمّ يرْفعُها اللّهُ إذا شاءَ أنْ يرْفَعَها. ثُمّ تكونُ خِلافةً على مِنهاج النبوَّة، فتكونُ ما شاءَ اللّهُ أنْ تكون، ثُمّ يرْفعُها إذا شاءَ أنْ يرفعَها. ثُمّ تكونُ مُلْكاً عاضّاً، فتكونُ ما شاءَ الله أنْ تكونَ، ثُمّ يرفعُها إذا شاءَ الله أنْ يرفعَها. ثُمّ تكونُ مُلْكاً جَبريَّةً، فتكونُ ما شاءَ الله أنْ تكونَ، ثُمّ يرفعُها إذا شاءَ أنْ يرفعَها. ثُمّ تكونُ خِلافةً على مِنهاج النُّبُوَّة، ثم سكت» أخرجه أحمد.

الفهرس

مقدمة..... ٥

الخلافة مشروع الأمة العظيم..... ٥

الخلافة في عيون الأمة بعد هدمها..... ٩

هدم الخلافة..... ١٠

كيف تلقت الأمة خبر هدم الخلافة؟..... ١٣

الخلافة في عيون الأمة بعد تأسيس حزب التحرير..... ١٨

الخلافة في عيون الغرب..... ٣٢

الخلافة في عصر الثورات..... ٥٣

الخلافة الإسلامية بين مبدئية حزب التحرير وتنازلات غيره..... ٦٠

الخلافة حديث الوسط السياسي في زمن الثورات..... ٦٥

حلم الخلافة ومعاندة حركة التاريخ..... ٧٥

عداء العلمانيين لمشروع الخلافة..... ٧٨

أين الحركات الإسلامية من مشروع الخلافة؟..... ٨٠

خاتمة..... ٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الخلافة مشروع الأمة العظيم

نحن الآن في قلب المعركة الحقيقية، بين مشروع الهيمنة الأمريكية التامة على مقدرات الأمة ومفاصل الحياة السياسية في بلاد الثورات العربية، وبين مشروع الخلافة العظيم. ومما لا شك فيه أن مسألة الخلافة الإسلامية، وعودتها مرة أخرى كنظامٍ حاكمٍ للمسلمين في العالم، هي المسألة الأكثر إثارة الآن في الوسط السياسي، وأصبحت في مرمى نيران أذناب الغرب في بلادنا، من العلمانيين والمضبوعين بالغرب الكافر.

إن جوهر مسألة الخلافة يكمن في قدرتها على لملمة شتات الأمة الإسلامية في كيان سياسي واحد، ومَنْ مِن الأمة لا يتمنى أن يكون من رعايا تلك الدولة العظيمة التي لا تحتاج بعد قيامها سوى وقت قصير حتى تنتزع زمام المبادرة وتصبح الدولة الأولى في العالم؟ إن تاريخ هذه الأمة العظيمة حاضر بقوة في كل مفاصل حياتها فهي تراه في الآثار المنتشرة في كل بقعة من أراضيها، وهي تسمعه من خطباء المنابر كل جمعة، عندما يسردون لها سيرة الخلفاء والمجاهدين العظماء بداية من الخلفاء الراشدين ومروراً بعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد، وصلاح الدين وقطز وبيبرس ومحمد الفاتح، والسلطان

عبد الحميد، وهي لا تزال تردد كلما أصابتها فاجعة أو اعْتُدِيَ على عرضها أو دُنِّست مقدساتُها أو اغتصبت أرضها المقولةَ الشهيرة: "وامعتصماه"، فتحلم بخليفة كالمعتصم يردّ عنها كيد عدوها، لأن ذاكرتها ما زالت تذكر حديث نبيها ﷺ: «**إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ**».

لقد تم الضغط بكل ما هو متاح في يد أعداء الأمة على الحركات الإسلامية لتتخلى عن مفهوم الوحدة الإسلامية الذي تمثله الخلافة الإسلامية. وخضعت معظم هذه الحركات لتلك الضغوط، واستبدلت بمفهوم الوحدة الإسلامية تلك النظرة الضيقة في إطار الدولة الوطنية التي فشلت على مدار تسعة عقود من قيامها كبديل استعماري لدولة الخلافة التي تم إسقاطها سنة ١٩٢٤م على أيدي أعداء الأمة بالتعاون مع بعض الخونة من العرب والترك.

إن استعادة دولة الخلافة الإسلامية هي الطريقة الوحيدة التي يمكن للأمة الإسلامية أن تستأنف بها حياتها الإسلامية التي توقفت مع تفتت دولة الخلافة إلى تلك الكيانات الكرتونية التي صنعها الغرب الكافر على عين بصيرة، وهو لا يزال يعمل مستميتاً – بعد أن فشل في قمع ثورات الربيع العربي في مهدها – على الحفاظ على هذه الكيانات وذلك بحرف هذه الثورات عن الأهداف الصحيحة، وحملها على تبني شعار ديمقراطيته المسمومة التي يروج لها في بلادنا. فالأمة إذا تُركت وشأنها، فإنها ستعمل لا محالة بإذن الله مع المخلصين من هذه الأمة الذين يحملون مشروع الخلافة العظيم كقضية مصيرية يتخذون تجاهها إجراء الحياة أو الموت، وهو ما يعني ضمنياً تحدّيَ دول الغرب الكافر، والقيام بمحاولة جدية لإسقاط الهيمنة الغربية على العالم؛

لأن هذه الدولة لا ترضى أن تكون في ذيل الدول وهي تدرك أنها تحمل الخير للبشرية، وهي وحدها القادرة على الوقوف بقوة ضدّ هيمنة الحضارة الغربية على العالم.

وإن ما يثير حَنَقَ الغرب وحَنَقَ أبواقِه في بلادنا أن يصبح الحديث عن الخلافة هو حديث الوسط السياسي في مصر في هذه الفترة الحرجة، بعد أن ظنت تلك القوى المتآمرة أنها استطاعت أن تشوّه الخلافة في عيون أبناء المسلمين الذين لم يروا هذه الدولة وإنما نُقلت إليهم صورة مشوهة إما عن طريق المناهج الدراسية التي سهر الكافر المستعمر على وضعها في البلاد التي احتلها، أو عن طريق مَن يتحدث عنها من عملاء الغرب الفكريين الذين تصدروا المشهد الفكري والأدبي في بلادنا. فإذا بهم يرونها طموحاً يراود قطاعاً كبيراً من الأمة وعملاً يسهر عليه حزب سياسي جعل الإسلامَ مبدَأَه واستئنافَ الحياةِ الإسلاميةِ غايتَهُ والخلافةَ طريقتَهُ لذلك. ولم تستطع أية قوة أن تجعل هذا الحزب المبدئي يتخلى عن العمل لاستعادة هذه الخلافة ولا حتى الضربات الأمنية التي وجهتها له القوى الحامية للعلمانية نيابة عن الغرب الكافر في بلادنا، وظل هذا الحزب يعمل بشكل عالمي سائراً على طريق الرسول ﷺ ليستعيد المجد الضائع من الأمة بضياع دولتها.

ونحن في السطور القادمة سنحاول أن نبين الدور الكبير الذي قام به حزب التحرير منذ تأسيسه سنة ١٩٥٣م وحتى الآن ليجعل من العمل لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة هدفا تسعى له الأمة، وذلك بعد أن كانت الخلافة فكرة مشوهة في أذهان المسلمين نتيجة لقيام فئة من الناس

رضيت بأن تكون أداة بيد الكافر المستعمر ومعول هدم في الأمة بتشويه تاريخ الأمة الناصع وحرف الأمة عن أي توجه لاستعادة مجدها الضائع بضياع خلافتها، وسنرى كيف كانت الأمة غافلة عن مشروع الحزب، فكل ما كان متاحا للأمة أن ترى به خلافتها هو كتابات سقيمة لئيمة وأخرى تضع السم في الدسم، فتصور الخليفة رجلاً ممتلئاً منفوخ "الكرش" يجلس بين الجواري والقينات والعبيد يحتسي الخمر، وتصور الخلافة نظاماً قمعياً فاشياً عفى عليه الزمن، وإذا بالأمة بعد العمل الدءوب الذي قام به الحزب تدرك حجم التضليل الذي تعرضت له، وإذا بالخلافة تصبح مطلبا وقضية مصيرية لدى الأمة، ونستطيع أن نقول بأن الأمة اليوم تتجه نحو مشروع الخلافة العظيم الذي أصبح حديث العالم وهاجس الغرب الكافر وموضع بحث مراكز دراساته الفكرية والاستراتيجية.

الخلافة في عيون الأمة بعد هدمها

عندما سقطت الخلافة سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م، لم تتحرك الأمة التحرك الذي كان يجب عليها أن تتحركه إزاء قضية مصيرية يجب أن يتخذ حيالها إجراء الحياة أو الموت، بل أكثر من ذلك وقع عدد كبير من المسلمين في أحابيل الكفار، فانساقوا وراء الشريف حسين الذي قاتل الدولة العثمانية، وسعى إلى إسقاطها خدمة للكفار. وسكتوا عن مجرم العصر مصطفى كمال عندما ألغى الخلافة وأعلن الجمهورية، وكان واجباً عليهم وقتئذ الأخذ على يده لمنعه من ذلك. ولم يقف الأمر عند سقوط دولة الخلافة بل حوربت فكرة الخلافة وفكرة الحكم الإسلامي حتى وصل الأمر ببعض المسلمين إلى إنكار وجود نظام للحكم في الإسلام.

هدم الخلافة

انتهت الحرب العالمية الأولى وأعلنت الهدنة بين المتحاربين بعد أن انتصر الحلفاء انتصاراً حاسماً، هُدمت دولة الخلافة العثمانية وفُككت إلى أجزاء صغيرة واستولى الحلفاء على بلاد العرب جميعها: مصر وسوريا وفلسطين وشرق الأردن والعراق وسلخوها عن الدولة، ولم يبق في يد العثمانيين سوى بلاد الأتراك (تركيا) وهذه نفسها قد دخلها الحلفاء. وكان الخليفة حينئذٍ وحيد الدين. وكان يرى أنه أمام الأمر الواقع، وأنه يجب أن ينقذ الموقف بالأسلوب الحكيم، فحل البرلمان وأسند رياسة الوزارة إلى أخلص أصدقائه فريد، فأيده في نظرته التي كانت ترمي إلى مجاملة الحلفاء وعدم المقاومة، لئلاّ تسبب دمار البلاد، لا سيما وأن الحرب قد انتهت. ونفذ خطته هذه، وظلت الحال كذلك، إذ ظل الحلفاء مسيطرين وظلت تركيا في حالة خمود حتى أواسط سنة ١٩١٩م، فتبدلت الأحوال ودب الخلاف بين الحلفاء أنفسهم، وظهر هذا بشكل سافر بين ممثليهم في إسطنبول، إذ كان الشجار بينهم ظاهراً وتنافسوا على الغنيمة، وطمع كل منهم في أن ينال حصة الأسد من المراكز العسكرية والامتيازات الاقتصادية، وصار في إمكان تركيا أن تجرب آخر سهم لإنقاذ موقفها، بعد أن وصل ضعف الحلفاء واختلافهم إلى حد أن صارت كل دولة منهم تثير الأتراك ضد الدول الأخرى وتساعدهم على غيرها. وكان مؤتمر الصلح لم يعقد بعد، وشروط الصلح لم توضع. ولذلك بدت تلوح في الأفق بوادر الأمل، وصار عند الناس اعتقاد بإمكان تنظيم حركة مقاومة جدية،

وكان الإنجليز قد استصنعوا مصطفى كمال للسير وفق سياستهم، وتنفيذ خططهم، وتحقيق حلمهم بالقضاء على دولة الخلافة.

سار مصطفى كمال في دعوته ضد الخلافة يبين أضرارها للأتراك، كما يبين أضرار الخليفة نفسه، ويصوره وأنصاره في صورة الخونة، ويظهرهم بمظهر الصنائع للإنجليز. ولم يكتف بذلك، بل أوجد موجة إرهاب ضد من يؤيدون الخلافة، فإن أحد النواب قد صرح بلزوم الخلافة والمحافظة على الدين، فما كان من مصطفى كمال إلاّ أن كلف شخصاً باغتياله في الليلة التي تكلم فيها فاغتاله شخص من أتباع مصطفى كمال وهو راجع إلى بيته من الجمعية الوطنية، وألقى أحد النواب خطاباً إسلامياً فأحضره مصطفى كمال وهدده بالشنق إذا فتح فمه بمثلها مرة أخرى. وهكذا نشر الرعب في طول البلاد وعرضها، ثم أرسل إلى حاكم إسطنبول يأمره بوجوب إلغاء مظاهر الأبهة التي تحيط بموكب الخليفة أثناء تأدية صلاة الجمعة، وخفض مرتب الخليفة إلى الحد الأدنى. وأنذر أتباعه بوجوب التخلي عنه، ولما لاحظ ذلك بعض المعتدلين من أنصار مصطفى كمال أخذتهم الحمية الإسلامية وخافوا من إلغاء الخلافة، والتمسوا من مصطفى كمال أن ينصب نفسه خليفة للمسلمين، فلم يقبل، ثم جاءه وفدان أحدهما من مصر والآخر من الهند، وطلبا إليه أن ينصب نفسه خليفة للمسلمين وكررا الرجاء ولكنه رفض ذلك وهيأ ضربته القاصمة بإعلان إلغاء الخلافة، وأثار في الأجواء عند الشعب وعند الجيش وعند الجمعية الوطنية الحنق والبغض للأجانب وللأعداء ولخليفهم الخليفة – على حد زعمه – وكانت إثارة الحنق على الأجانب خدعة قصد منها أن يتوصل إلى اتهام

الخليفة بأنه حليف الأجانب وإلى إثارة الحنق عليه، وسمم الجو بالإشاعات المثيرة ضد الخليفة. ولما سيطر هذا الجو على البلاد تقدم مصطفى كمال في الثالث من شهر آذار/مارس سنة ١٩٢٤م إلى الجمعية الوطنية بمرسوم يقضي بإلغاء الخلافة، وطرد الخليفة وفصل الدين عن الدولة. ثم أرسل إلى حاكم إسطنبول أمراً يقضي بأن يغادر الخليفة عبد المجيد تركيا قبل فجر اليوم التالي فذهب الحاكم ومعه حامية من رجال الشرطة والجيش إلى قصر الخليفة في منتصف الليل وأجبروه على أن يركب سيارة واقتادوه إلى خارج الحدود، ولم يسمحوا له أن يحمل معه سوى حقيبة فيها بعض الثياب وبعض النقد.

وهكذا هدم مصطفى كمال الدولة الإسلامية والنظام الإسلامي وأقام الدولة الرأسمالية والنظام الرأسمالي وبذلك قضى على الدولة الإسلامية وحقق للكفار حلمهم الذي داعبهم منذ الحروب الصليبية ألا وهو القضاء على دولة الإسلام.

كيف تلقت الأمة خبر هدم الخلافة؟

بسقوط الخلافة، عاشت الأمة بمجموعها حالة من الدهشة والذُّعر والهلع الذي لم تكن له سابقة في تاريخها، إذ لم يكن يخطر بخلد مسلم أنّ الخلافة قد تزول يوما من الوجود.

لقد أدرك أمير الشعراء أحمد شوقي أنّه كان مخدوعا عندما مدح مصطفى كمال بوصفه بخالد الترك، فتدارك الأمر تجاه الخلافة بالرّثاء، وتجاه الرّجل بالهجاء، فكانت قصيدته الرّائعة "خلافة الإسلام"، والتي قالها سنة ١٩٢٤م، والقصيدة غنيّة عن التّعليق، فهي تصف بدقّة فائقة، ورؤية ثاقبة، حال الأمّة في ظل الخلافة، وما آلت إليه عند سقوطها، ومآلها الذي نحن اليوم فيه، ومما جاء في قصيدته الأبيات التالية:

عادت أغاني العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... في كل ناحية وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح

على إثر هدم الخلافة اجتمع بعض علماء الأزهر وأصدروا بياناً يؤكدون فيه: "بطلان ما قام به الكماليون لأن الخليفة قد بويع من المسلمين ولا يمكن خلعه"، وكان موقع الخلافة الخالي قد أسال لعاب الكثيرين ومنهم ملك الأفغان أمان الله، وملك الحجاز حسين بن علي، لكن الملك فؤاد قرر أن يكون الخليفة، وتمت دعوة ممثلي جميع المسلمين إلى مؤتمر يعقد في القاهرة برئاسة شيخ الأزهر للبحث فيمن تسند له الخلافة ومكان وجوده، وحددوا شهر شعبان من العام التالي لانعقاده[1]، وتمضي عجلة الإعداد للمؤتمر مدعومة من القصر والأزهر وفي ربيع أول ١٣٤٣هـ (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٤م) تصدر نشرة باسم "المؤتمر" مهمتها الترويج لمؤتمر الخلافة، ويكتب الشيخ رشيد رضا في صدر العدد الأول قائلاً: "إن المؤتمر سيضم علماء الدين والدنيا من كل الأمم الإسلامية، خاصة أن مهمته هي وضع قواعد للحكومة الإسلامية، التي يظهر فيها علو التشريع الإسلامي، واختيار خليفة وإمام للمسلمين".

لكن المعادين للخلافة كانوا كثيرين، فسعد زغلول رئيس الوزراء رفض الفكرة، وحلفاء الملك سياسياً من خصوم الوفد وهم "الأحرار الدستوريون" عارضوها، وتكتب جريدتهم السياسة: "إن الدستور ينص على أنه لا يجوز للملك أن يتولى مع ملك مصر أمور دولة أخرى بغير رضاء البرلمان، ومن ثم يتعين ترك هذه المسألة للسياسيين، وأن يكف علماء الأزهر عن دعوتهم"،

---

[1] المنار- مجلد ٢٥- ١٩ شعبان ١٣٤٢هـ- ٢٥ آذار/مارس ١٩٢٤م.

وبرزت مطامع ملوك وأمراء لدول في البلاد الإسلامية ترفض تولي فؤاد، ويطلب كل منهم أن يكون خليفة. واتضح فيما بعد أن هذا المؤتمر وأمثاله لم يكن إلا أُلهية وتخديراً للأمة، حتى لا تتخذ أي أجراء جدّي فعّال لإعادة خلافتها الضائعة.

في ظل هذه الأجواء الحزينة التي اكتنفت الأمة الإسلامية بعد فاجعة هدم خلافتها ظهر في الأسواق كتاب "الإسلام وأصول الحكم" للشيخ الأزهري علي عبد الرازق، والذي صدر سنة ١٩٢٥م، وقد أحدث ضجة في مصر بسبب رفضه لفكرة الخلافة ودعوته لمدنية الدولة، وقد أدى هذا الكتاب إلى معارك سياسية ودينية كبيرة، وقامت هيئة كبار العلماء في الأزهر بمحاكمة علي عبد الرازق وأخرجته من زمرة العلماء وفصلته من العمل كقاضٍ شرعي، وقد وجهت الهيئة ست تهم، تتهم فيها الكتاب وكاتبه بالضلال، حيث قالت إن الكتاب تسبب في:

١- جعل الدين لا يمنع من أن جهاد النبي كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة للعالمين.

٢- اعتبار نظام الحكم في عهد النبي موضع غموضٍ أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجباً للحيرة.

٣- اعتبار أن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغاً للشريعة مجردة عن الحكم والتنفيذ.

٤- إنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وأنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمورها في الدين والدنيا.

٥- إنكار أن القضاء وظيفة شرعية.

٦- اعتبار حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده حكومةً لادينية.

لقد تعرض الكتاب لنقد لاذع من عدد كبير من العلماء، أشهرهم الإمام الأكبر محمد الخضر حسين - شيخ الأزهر في حينها - في كتابه "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" الذي صدر عام ١٩٢٦م، ومفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي في كتابه "حقيقة الإسلام وأصول الحكم" الذي صدر عام ١٩٢٦م أيضاً، وعبد الرازق السنهوري في كتابه "أصول الحكم في الإسلام"، بالإضافة إلى كتاب "نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم" للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. وبالطبع دافع عن الكتاب رجالات العلمانية الذين بدأت تتشكل لهم أرضية واسعة في مصر بدعم واضح من المستعمر الإنجليزي الذي استطاع أن يهدم خلافة المسلمين، منهم الدكتور محمد حسين هيكل حيث كتب مقالاً شديد السخرية في جريدة السياسة يسخر من القرار، واستقال عبد العزيز فهمي من وزارة الحقانية في وزارة زيور باشا في ١٣ آذار/مارس ١٩٢٥م، ووقف إلى جوار علي عبد الرازق حتى ترك الوزارة احتجاجاً على إخراج الشيخ علي عبد الرازق من زمرة العلماء، وكذلك دافع عباس محمود العقاد عن عبد الرازق في مقال في صحيفة البلاغ، وكتب

سلامة موسى مقالاً في جريدة المقتطف دافع فيه عن حرية الفكر والإبداع ورفض الرقابة الفكرية.

وفي عام ١٩٤٧م، كانت الدعاية المضادة للخلافة التي دعمها الإنجليز وعملاؤهم والمضبوعون بثقافة الغرب قد آتت ثمارها، وكان حزب الأحرار الدستوريين شريكاً قوياً في الحكومة، وكان يرغب في تعيين الشيخ علي عبد الرازق وزيراً للأوقاف، وبناء على أمر الدكتور محمد حسين هيكل اجتمعت هيئة كبار العلماء ومعها المجلس الأعلى للأزهر في ٢٥ شباط/فبراير ١٩٤٧م ووجهوا رسالة للملك فاروق جاء فيها: "إن المجتمعين يلتمسون من جلالة الملك وفضله غزير على الأزهر والأزهريين أن يتفضل فيعفو عن الأثر المترتب على الحكم الذي أصدرته هيئة كبار العلماء منذ ٢٢ عاماً"، وقبل الملك الالتماس وصدر مرسوم ملكي في ٣ آذار/مارس ١٩٤٧م بتعيين الشيخ علي عبد الرازق وزيراً للأوقاف.

إذن، وبمنتهى البساطة، يتم العفو عن الرجل الذي فُصل من الأزهر وأُخرج من زمرة العلماء لتجديفه في الدين وهجومه على الخلافة، بل ويكافأ بأن يعين وزيرا للأوقاف!! ولا أحد يتكلم أو يعترض!

الخلافة في عيون الأمة بعد تأسيس حزب التحرير

عندما تأسس حزب التحرير سنة ١٩٥٣م، ونادى بعودة الخلافة، كانت الأمة في غفلة عن ذلك، فإذا الأمة اليوم بعد هذا المجهود المضني الذي بذله الحزب، وبعون الله وحده، تدرك معنى أن تكون أمةً واحدةً من دون الناس، وأنه لا حياة لها ولا أمن ولا عزة ولا كرامة بدون أن تعود لها دولتها "الخلافة" التي كانت الدرع الواقي الذي وقاها من الفرقة والتشرذم، وحفظ لها بيضتها ودفع عنها شر أعدائها مدة ثلاثة عشر قرناً. أصبحت الأمة اليوم تتوق لليوم الذي يعزها الله فيه براية الخلافة لتتخذ المكانة اللائقة بها والتي اختارها لها رب العالمين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، والأمة اليوم مستعدة لدفع ثمن عزتها وكرامتها، بل هي من الآن تدفع هذا الثمن، في فلسطين والعراق وأفغانستان وأوزبيكستان..، فالأمة الإسلامية أمة الجهاد والشهادة والتضحية في سبيل الله، لم يأتِ في التاريخ أمة مثلها في البذل والعطاء والإيثار والتضحية، وهي بعد قيام الدولة إن شاء الله ستكون أكثر بذلاً وعطاءً وإيثاراً.

١- فالأمة اليوم؛ وبالرغم من الجهود الجبارة التي بذلت من قبل الكافرين، ما عادت تقبل عن الإسلام بديلاً، ولا عادت تقبل الإسلام المداهن للحكام، ولا الإسلام الأمريكي ولا الأوروبي أو ما يسمى بالإسلام المعاصر أو الوسطي، وها هي تنقب عن أحكام دينها ولا ترضى إلا بالإسلام النقي بديلاً عما سواه، فبالله عليكم، أين القومية ورواجها؟ أو العلمانية

ودعوتها؟ أو الاشتراكية وأساطينها؟ أو الجهوية والعصبية؟ ألم تصبح هذه الأفكار أثراً بعد عين؟ ألم تعد الأمة لمعدنها ودينها وأصبحت ترفض ما سواه؟!

٢- أين هؤلاء الحكام الذين كانت الأمة عبر سنين الغفلة تهتف باسمهم، وتلهج ألسنتها بذكرهم، وتعلق آمالها عليهم؟ ألم يعد هؤلاء دميً في نظر الأمة يحركها الكافر حيث يشاء؟ ألم يصبح هؤلاء أمواتاً لا ترجو الأمة منهم عدلاً ولا صرفاً ولا حياةً كريمة؟ بل ألم تصبح الأمة تلعنهم وتسخط عليهم وتتبرأ إلى الله منهم ومن أفعالهم وتآمرهم عليها وغدرهم بها صباح مساء؟ وها هي تثور عليهم لخلعهم ولفظهم.

٣- ثم أين تلك الحدود التي مزقت الأمة وأين قدسيتها الكاذبة؟ ألا ترون جميعاً أن الأمة تتطلع للوحدة ولا تقيم وزناً لهذه الحدود؟ ألا ترون كيف يشعر أهل فلسطين بأهل العراق، وأهل السودان بأهل أفغانستان، وأهل كشمير بأهل الشيشان؟ ألا ترون كيف يتطلع المسلمون جميعاً في كافة أقطار المعمورة إلى الوحدة الحقيقية في ظل دولة واحدة، لا يقيمون فيها وزناً لا للون ولا لعرق ولا لحدود سوى لإسلامهم؟

٤- ومن ثم ألا ترون كيف أصبحت دعوة الخلافة هي البضاعة والصناعة للأمة، وأصبحت محط أنظارها وأملها في الخلاص، بل إن وعي الأمة على دينها وعلى الخلافة يزداد يوماً بعد يوم، ورأيها العام أصبح رأياً منبثقاً عن وعي عام على الإسلام.

٥- ثم ألا ترون أن الطاولة قد انقلبت على الكافرين؟ فأصبحت أفكارهم في معرض النقض وظهر بطلانها على الصعيد العالمي لا المحلي

فحسب، وأصبح المسلمون – وخاصة في بلاد الغرب – يهاجمون الأفكار الرأسمالية الغربية في الصميم، بدل أن يندمجوا في المجتمعات الغربية كما أراد لهم الكفار، ما أدى إلى اعتناق عشرات الآلاف من كفار الغرب الإسلام، وهذه علامة تراجع ونكوص لمشروع الكفار.

من مجمل ما ذُكر نستطيع الحكم والقول بلا تردد أن مشروع الخلافة – مشروع نهضة الأمة – في تقدم، لا بل في تسارع، ومشروع الكفار في تقهقر وانحسار، وأن الحزب بفضل الله استطاع خلال عقود قليلة أن يعيد للخلافة في أذهان المسلمين رونقها ويزيل عنها الغبار الذي علق بها وبالدعوة لإعادتها، وجعل منها مطلبا وهدفا يُسعى له، ولكي نُبلغ في الدلالة نذكر النقاط التالية التي تؤكد ذلك:

١) حالة الذهول التي أصابت الكفار عقب كل ما بذلوه لصد الأمة عن نهضتها ودينها، فبدل أن تصاب الأمة في مقتل، كما طمع عدوها جراء هذه المعركة، نرى الأمة قد حزمت أمرها نحو خلاصها عبر تبني مشروع الخلافة، ما دعا الكفار إلى إعلان حرب صليبية بصورة علنية، وفي ذلك إعلان إفلاس لهم وفشل لجميع المخططات التي رسموها من قبل عبر العقود الماضية.

٢) التقارير والأبحاث والتوصيات التي تصدر عن مراكز أبحاث الكفار، كمؤسسة راند ومركز نيكسون للأبحاث، والتي تعترف بدنو قيام الخلافة وتعتبره السيناريو المتوقع للعالم في السنوات القليلة القادمة، ما دعا زعماءهم إلى إظهار تخوفهم من عودتها بصورة علنية، وسيأتي معنا في الصفحات القادمة جانبا من

هذه التصريحات. وهذا مما يؤكد أن الأمة تتجه نحو مشروع نهضتها، وما عادت تلتفت إلى ما سواه، ويؤكد مدى الخوف والهلع الذي أصاب الكفار جراء ذلك.

٣) عقب انعتاق طالبان وما تبعه من حرب في أفغانستان، قررت أمريكا أن تتراجع عن استعمال الحركات الإسلامية المخترقة لتحقيق مصالحها وأهدافها، وقررت ضرب كل حركة إسلامية مهما كانت، واليوم تشهد هذه السياسة تراجعاً بسبب فشل السياسة الأمريكية في حرب الإسلام السياسي، فعادت أمريكا تريد ضرب الإسلام ومشروعه النهضوي بحركات ما يسمى الإسلام المعتدل المقبول أمريكياً، وفي ذلك دلالة واضحة على عجز أمريكا بأفكارها الرأسمالية العفنة عن مواجهة تقدم مشروع الأمة وتسارعه، وهذا ما ألجأها مرة أخرى لاستخدام ورقة الحركات الإسلامية التي تصنف أمريكياً بأنها حركات معتدلة ومقبولة، وأخذت تفاوضها وتحاورها لإيصالها إلى الحكم أو لإشراكها فيه، لتقطع الطريق على الحركات الإسلامية التي تحمل المشروع التغييري الحقيقي للأمة، ولتفشل بعد ذلك حركات الإسلام المعتدل لتظهر أن الذي فشل هو الإسلام نفسه وفي هذا تضليل أيما تضليل.

هذه هي أهم المعالم والإشارات الدالة على تقدم وتسارع مشروع نهضة الأمة وتقهقر وانحسار وفشل مشروع الكفار، وأن مشروعهم هذا – بإذن الله – إلى زوال واندحار.

أما أين وصل الحزب للقيام بهذا المشروع، فإنه قام بأمور كثيرة نسطر بعضاً من أهمها:

١) دعوة فكرة الخلافة بعد إقصائها:

لقد لعب الحزب دور الريادة في ذلك، فكان أول حزب سياسي على الكرة الأرضية يقوم بعرض فكرة (إقامة الخلافة الإسلامية) كمشروع لإنهاض الأمة الإسلامية من انحطاطها، ولم يُذكر أن أي حزب أو جماعة قبله قدمت مثل هذا العرض، بل تأثرت كل الجماعات التي نشأت قبله بالواقع المعاصر. وأكثر من ذلك، فهو لا يزال حامي حمى هذه الدعوة، والباذل لها كل جهده، وأصبح معروفاً بها ومعروفة به بحيث إذا ذكر الحزب ذكرت الخلافة، وإذا ذكرت الخلافة ذكر الحزب.

٢) إيجاد رأي عام لصالح فكرة الخلافة لدى الأمة:

لقد نجح الحزب في إيجاد رأي عام لدى الأمة على فكرة الخلافة حتى أصبحت مطلباً للكثيرين وأمنية أكثر من مليار مسلم، ويؤكد ذلك دراسةٌ حديثة أجراها "معهد الرأي العام العالمي بواشنطن" بالتعاون مع جامعة ماريلاند في أربعة أقطار إسلامية هي الباكستان ومصر والمغرب وإندونيسيا، وقد خرجت نتيجة الدراسة بأن غالبية المسلمين يفضلون العيش في ظل دولة الخلافة بدلاً من العيش في ظل النظام الديمقراطي، ففي سؤال تضمنه استبيان وزعه المعهد المذكور ورد سؤال:

هل تفضل العيش في دولة خلافة تطبق الشريعة أم في نظام ديمقراطي؟

كانت الإجابات على النحو التالي:

٧٦% من المغرب يفضلون العيش في دولة خلافة تطبق الشريعة

٧٤% من مصر كذلك

٧٩% من باكستان كذلك
٥٣% من إندونيسيا كذلك

٣) التأثير في الأحزاب الأخرى:

لقد نجح الحزب في خلق أجواء سياسية دفعت إلى ولادة أحزاب إسلامية تسعى إلى إقامة الخلافة الإسلامية، وإن اختلفت معه في طريقة الوصول لذلك، وقد اضطَر الحزبُ كثيراً من الجماعات الإسلامية التي لم تذكر شيئاً عن الخلافة في أدبياتها، اضطرها إلى زج فكرة الخلافة في قوائم أهدافهم ولو بالظاهر، حيث إن عدم تطرق هذه الجماعات لفكرة الخلافة أحرجهم أمام الأمة. وكانت نقطة ضعف أساسية في دعوتهم.

٤) نجاح الحزب في ضرب العلاقة بين الأمة والحكام:

في الوقت الذي كانت الأمة ترى في حكامها زعماء ورؤساء وملوكاً ترعى الشؤون، وفي الوقت الذي كان بعض قيادات الحركات الإسلامية لا يرون غضاضة في إقامة علاقات ودية مع الحكام، في هذا الوقت وُجد حزب التحرير، وكان الحزب هو أول من اصطدم مع الحكام والأنظمة، فكان الكفاح السياسي ضد الحكام والأنظمة الحاكمة هو جزءاً من طريقة عمله، فصار يكافح الحكام ببيان بعدهم عن تطبيق الشرع، وبيان بعدهم عن رعاية مصالح الأمة، وكشف مؤامراتهم وتواطئهم مع أعداء الأمة وعمالتهم للغرب؛ ما أدى إلى نبذ الأمة لهم، وبالتالي نبذ كل من يتعامل معهم حتى ولو كانوا من الحركات الإسلامية.

٥) حراسة الحزب للأمة من مؤامرات الغرب والحكام:

لما كان الحزب قواماً على الأمة وعلى مصالحها، كان دائم التحذير من كل مؤامرة، فتجده قد حذر الأمة من نكسة ٦٧ قبل حدوثها بـ١٠٠ يوم، وحذر من تسليم الملك حسين ملك الأردن للضفة الغربية ليهود قبل ذلك بسنوات، وتجده قد حذر من اتفاق أوسلو قبل وقوعه بثلاثين سنة حين بيّن أن منظمة التحرير قد أُنشئت لتصفية القضية والتنازل عن فلسطين، وهو قد حذر من خيانة الملك حسين وعزمه على فك الارتباط مع الضفة قبل حدوثه ببضعة أشهر، وحذر من فصل جنوب السودان عن شماله قبل أن يتم ذلك بسنوات عدة، وكان الناس حين يرون تحذيرات الحزب الاستباقية قد حدثت بالفعل يقولون: صدق حزب التحرير! صدق حزب التحرير!

ومن الجدير ذكره تحذير الحزب لإخوانه في فلسطين حين عزموا دخول الانتخابات التشريعية تحت حراب المحتل، وقد حذر من أن ذلك سيقود إلى الاعتراف بـ(إسرائيل)، وسيقود إلى فخاخ سياسية ستضيع ثمرة جهود سنين طويلة، وها هم أهلنا هناك يعيشون التجربة والكثير منهم يقول: ليت الذي كان لم يكن!!

٦) وضع تصور متكامل لشكل دولة الخلافة:

قدم الحزب تصوراً عملياً مستنبطاً من الكتاب والسنة عن شكل دولة الخلافة، فدولة الخلافة ليست مجرد شعار يُرفع، بل هي كيان تنفيذي يتمثل في ثلاثة عشر جهازاً، وهي:

الخليفة، ومعاون التفويض، ومعاون التنفيذ، والولاة، والجيش، ودائرة الأمن الداخلي، ودائرة الصناعة، ودائرة الخارجية، ودائرة بيت المال، وجهاز القضاء، ودائرة الإعلام، والجهاز الإداري لمصالح الرعية، ومجلس الأمة.

وهذا التصور مفصل تفصيلاً كاملاً في كتاب "أجهزة دولة الخلافة في الحكم والإدارة" الذي أصدره الحزب.

٧) وضع مشروع دستور جاهز للتطبيق في أي لحظة:

قام الحزب منذ أكثر من خمسة عقود بوضع دستور لدولة الخلافة، وهو الآن مكون من ١٩١ مادة جاهزة للتطبيق في أي لحظة يستلم فيها الحزبُ الحكم، وهذا الدستور ليس مجرد شعارات، بل هو مشروع دستور عملي استنبطت مواده من الكتاب والسنة وما أرشدا إليه من إجماع الصحابة والقياس، وكانت هذه سابقة فضل لم يسبق الحزبَ إليها أحد، فكان هو رائد التصور لكيفية تطبيق الإسلام تطبيقاً عملياً في العصر الحديث، حتى إن أحد قادة جبهة الإنقاذ في الجزائر سئل ذات مرة: لو استلمتم الحكم فهل لديكم دستور جاهز للتطبيق؟ فكان جوابه: لدينا دستور الإخوة في حزب التحرير. ومن الجدير ذكره أن الحزب كان يقوم بإرسال الوفود لكل زعيم في العالم الإسلامي زعم أنه يريد تطبيق الإسلام، فيدعوه إلى تبني هذا الدستور المأخوذ كله من شرع الله تعالى، ولكنه لم يجد مستجيباً، فعلها مع الخميني، والبشير، وعلي عبد الله صالح وغيرهم.

٨) وهناك إنجازات أخرى كثيرة منها:

– نجاح الحزب في بناء قاعدة شعبية واسعة له في الأمة، يدل على ذلك مسيراته وفعالياته التي تستقطب عشرات الآلاف من أبناء الأمة في كل قطر.

– اتصالاته الحثيثة بضباط الجيش لنصرته في إزالة الأنظمة الحالية، ما يدلل على جديته وعزمه على تطبيق مشروعه الإسلامي.

– إحياؤه فكرة طلب النصرة من أهل القوة والمنعة، تلك الفكرة التي لم يسبقه إلى استنباطها أحد.

– احتضانه وتأييده للثورات والحراك الشعبي في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، وهذه الثورات لن تتوقف بإذن الله حتى تسفر عن تغيير حقيقي يرضي الله سبحانه ورسوله ﷺ وترضى عنه أمة الإسلام ويدفعنا إلى الأمل أمور عدة أهمها ما يلي:

١– الأمة اليوم أكثر وعيا على إسلامها:

لقد مرت على الأمة الإسلامية فترة من الانحطاط، كانت فيها الأمة غثاء كغثاء السيل، تنساق وراء كل ناعق وكل متشدق يقدم لها أفكاراً ونظريات تخالف وبشكل واضح لا لبس فيه ما تحمله الأمة من عقائد وأفكار، تنساق وراءه وهي تظن أنه يحمل لها الترياق الشافي فإذا هو السم الزعاف، فجعلت من الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وممن هم على شاكلتهم روادا للإصلاح. واليوم ها نحن نرى المسلمين يعودون إلى دينهم يتمسكون به، ويعضون عليه بالنواجذ، مفتخرين بدينهم الحق، مدركين لواقع

هؤلاء المتفيقهين الذين استعملهم الغرب الكافر لضرب الفكر الإسلامي الصحيح، لافظين أصحاب الأفكار العفنة – كالقومية والوطنية والاشتراكية والديمقراطية– لفظ النواة، وقد أصبح أصحاب هذه الأفكار ضيوفاً غير مرحب بهم في الندوات وبرامج الإذاعة والتلفاز. وكثير منهم قد غير جلده مسايرةً للواقع الجديد الذي بدأ يفرض نفسه، فحاولوا أن يقدموا أنفسهم تحت مسمى "مفكرين إسلاميين"، ذلك أن الإسلام هو الذي تتحرك له القلوب والمشاعر، والعالم اليوم «لم يبقَ فيه بيت إلا وفيه ذكر الإسلام». وها نحن نرى أمريكا اليوم تحاول امتطاء الحركات الإسلامية المسماة بـ«المعتدلة» لإيصالها إلى الحكم في بلاد المسلمين، متوهمة أنها تستطيع بذلك قطع الطريق على الحركات الإسلامية المخلصة. وها نحن نرى كيف انطلقت الجموع الغفيرة رافعة شعار الإسلام مطالبة بوضعه موضع التطبيق.

٢– الأمة اليوم تتشوق إلى الحكم بالإسلام:

عندما نقول الحكم بالإسلام نعني إعادة الخلافة الإسلامية، فهي نظام الحكم في الإسلام، وقد أصبح هذا معلوما عند جمهرة الأمة اليوم بفضل الله تعالى، ولقد رأينا كيف خرج الناس بالملايين في مصر في الجمعة التي أطلق عليها جمعة الشريعة يوم ٢٠١٢/٧/٢٩م، والتي طالبت بتطبيق الشريعة، وإلغاء المبادئ فوق الدستورية، كما خرج الناس في تونس يوم ٢٠١٢/٣/١٦م فيما سمي "جمعة نصرة الشريعة"، وكان من الشعارات المرفوعة فيها "الشعب يريد خلافة إسلامية" و"الشعب يريد تطبيق الشريعة". إن الأمة اليوم مستعدة لدفع

ثمن عزتها وكرامتها، مهما كلفها ذلك من تضحيات، فهي أمة الجهاد والشهادة والتضحية، لم يرَ التاريخ أمة مثلها في البذل والتضحية والعطاء والإيثار، ولقد شهد العالم كله لها بذلك في الماضي والحاضر، وها هو يرى تضحياتها في سبيل إزاحة تلك العصابات الحاكمة العميلة. وستكون تضحياتها أعظم عندما يتعلق الأمر بالبديل الحقيقي لتلك الأنظمة الظالمة، ألا وهي الخلافة على منهاج النبوة!

٣- الأمة اليوم تعرف من هو عدوها:

مرت فترة على الأمة كانت تنظر للغرب نظرة إكبار واحترام، وترى فيه المثل الذي يجب أن تحذوه حتى تنهض وتلحق بركب الحضارة، فأقبلت على ثقافته تنهل منها وعلى مفكريه تتخذهم قدوةً ومثالاً، ولم تكن الأمة وقتها مدركة أنها مخدوعة ببريق حضارة زائفة تحوي في ثناياها بذور اضمحلالها وفنائها. أما اليوم فقد ازداد وعي المسلمين على حضارتهم ودينهم وازداد رفضهم لما سواه، وأدركوا أن الغرب هو عدوهم الحقيقي، وأدركوا مدى كذبه ودجله وفساده الخلقي. قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ۝١٢﴾. نعم لقد أدركت الأمة عدوها عندما رأت تكالب دول الكفر قاطبة على نهب خيراتها وثرواتها، وعلى قتل وتشريد أبنائها، وعلى احتلال أراضيها في العراق وأفغانستان، أدركت الأمة عدوها وأدركت خسة وعمالة حكامها الذين أذاقوها لباس الخوف والجوع خدمة لأسيادهم الكفار. ولذلك فإن الأمة اليوم تختلف اختلافاً جذرياً عما كانت

عليه منذ أكثر من ستين عاماً. وها هي قد قامت بخلع الظالمين، عملاء الغرب الكافر، بن علي ومبارك والقذافي وبشار، والبقية على الطريق إن شاء الله. كما أن الأمة غير غافلة عما تدبره أمريكا في بلادنا، وهي مرفوضة تماما عند غالبية الأمة لأنها العدو. فالأمة اليوم تعرف أن أمريكا لم تكن ولن تكون في يوم من الأيام إلا عدوة لها. وإنها أكثر الدول في التاريخ كذباً وتدجيلاً، وأن ما تتشدق به من حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية إن هي إلا أقوال فارغة لا تحمل أي مضمون، وهي مجرد خدعة تريد أن تمرر من خلالها مشاريعها الاستعمارية في بلادنا.

٤- الأمة اليوم تريد الوحدة، وترفض الفرقة والتشرذم:

لقد حاول شياطين الإنس من حكام هذه الأمة أن يصرفوها عن التطلع للوحدة على أساس الإسلام، ولم يكن أمامهم سوى رفع شعارات الوطنية الضيقة، والقومية المنحطة. وعلى مدار ما يقارب التسعين عاماً لم تستطع هذه الشعارات أن تصرف الأمة عن إدراكها أنها أمة واحدة فرقت بينها اتفاقية سايكس بيكو اللعينة، وظلت شعارات «مصر للمصريين» و«الأردن أولاً» وأمثالهما مجرد شعارات فارغة. ولو لم تكن الأمة مكبلة من قِبل حكامها لتحركت منذ زمن بعيد لإزالة هذه الحدود المصطنعة التي تفصل بين شعوبها. وهي تنتظر اليوم الذي يتقدم المخلصون فيه لإعادة وحدتها في دولة الخلافة. قال تعالى: ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾، وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ**

جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ». وما الحديث عن مشاريع تقسيم المقسم من بلاد المسلمين إلا محاولة يائسة من الكفار لضرب مشاعر الوحدة في نفوس المسلمين.

٥- الأمة اليوم لا تخشى أمريكا:

لقد تفاجأت أمريكا بالثورات التي انطلقت في بلادنا، وحاولت مرتبكة أن تصحح خطأها في دعم تلك الدكتاتوريات، فأطلقت شعارات "على الرئيس أن يرحل"، "وحان وقت الإصلاح الحقيقي"، وغيرها من الألاعيب التي حاولت من خلالها سرقة الثورة، واستبدال عميل بآخر. وإن كانت أمريكا قد أفلحت في بلد وأخفقت في أخرى، إلا أن الأمة واعية على ما تدبره أمريكا، وعندما تقوم الخلافة، ستقود المعركة الحقيقية ضد أمريكا، وستدرك أمريكا وقتها أن كل ما ذاقته خلال السنوات السابقة في صراعها مع الأمة لم يكن سوى نزهة لطيفة مقارنة بمعركتها حينئذ. فيومها سيكون الصراع مع دولة بحجم دولة الخلافة، وليس مع أفراد أو جماعات في الأمة، ولذا فسوف تفكر أمريكا ألف مرة قبل أن تخوض صراعاً مع دولة الخلافة. لقد رأينا أنف أمريكا يتمرغ في التراب في العراق وأفغانستان، وهي لم تعد تخيف الأمة بعد اليوم.

٦- تم كسر حاجز الخوف عند الأمة:

لقد مر على الأمة زمن كانت لا تجرؤ فيه على رفع الصوت عاليا بما تريده خوفا من بطش حكامها الذين أذاقوها لباس الخوف والقهر، وكانت الأمة تتناقل فيما بينها أخبار التعذيب في أقبية أمن الدولة والمخابرات، فتحجم

عن القيام بأي عمل يجعلها عرضة لمثل هذا التعذيب. فإذا بنا اليوم نرى الأمة قد تحركت ولم تحسب لهؤلاء الطواغيت أي حساب، فزلزلت عروشهم وأظهرت مدى ضعفهم وهوانهم، فأزالت بحركتها تلك حاجز الخوف الذي كان يقف حائلا بين شباب الحزب وبين الناس. نعم، لقد أزيل هذا الحاجز وتم كسره ولن ترضى الأمة بعد اليوم أن تساق كالأنعام إلى ما يريده منها حكامها عملاء الغرب الكافر.

إن أفق الثورات في بلاد المسلمين يبشر بالخير العميم، وإننا واثقون بأن الأمة قادرة بإذن الله على إحباط مخططات أمريكا والغرب الكافر لإفشال تلك الثورات، وحرفها عن مسارها الطبيعي الذي سيتوج بإذن الله بعودة الخلافة على منهاج النبوة، وما هي إلا مسألة وقت لتهب الأمة لمبايعة خليفة يقودها بكتاب الله وسنة رسوله، وما ذلك على الله بعزيز. قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ** ۝﴾ [غافر: ٥١].

الخلافة في عيون الغرب[2]

القضاء على الخلافة كان هدفاً سعى الغرب دائماً لتحقيقه، حيث إن وجودها كان هماً مستديماً يؤرقه...، وقد حققه بعد الحرب العالمية الأولى. يقول اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا الذي هُدمت الخلافة في عهده: «لقدْ قضينا على تركيا، التي لنْ تقومَ لها قائمةٌ بعدَ اليومِ.. لأننا قضينا على قوتِهَا المتمثلةِ في أمرينِ: الإسلام والخلافة» وها هو ذا الهم نفسه بدأ يعود ليؤرق الغرب من جديد، فقد جمع المسلمون عزمهم لإعادة الخلافة إلى أرض الواقع بعد أن جعل منها حزب التحرير قضية مصيرية دونها الموت، وهذه بعض التقارير والمقالات والتحليلات المتعلقة بتوقع الغرب لعودة الخلافة وقلقه حيال ذلك:

– أعلن بوتين الرئيس الروسي آنذاك في كانون أول سنة ٢٠٠٢م: «إن الإرهاب الدولي أعلن حرباً على روسيا بهدف اقتطاع أجزاء منها وتأسيس خلافة إسلامية» وكان بوتين يتحدث في حوار تلفزيوني مباشر أجاب خلاله عن ٥٠ سؤالاً اختير من بين أسئلة مليوني اتصال هاتفي من سكان روسيا.

---

[2] منقول بتصرف من كتيب "في عيون الغرب"، إصدار مجلة الوعي.

– نشر موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.com في أواخر سنة ٢٠٠٢م الخبر التالي تحت عنوان "جهاز الاستخبارات الألماني يحذر من قيام الخلافة": «يقوم رئيس جهاز الاستخبارات الألماني أوغست هانينغ بجولة في عدد من الدول العربية بدأها بمنطقة الخليج التقى خلالها بقادة عدد من أجهزة الاستخبارات العربية. وكان ملف العراق والأصولية الإسلامية هما أبرز الموضوعات بالنسبة للرجل الذي يرأس واحداً من أنشط أجهزة الاستخبارات الدولية. وفي شأن الأصولية الإسلامية فإن محللي الاستخبارات الألمانية يتوقعون أن يشن الألوف من أنصار الحركات الإسلامية في أوزبيكستان وطاجيكستان وقرغيزيا هجوماً واسعاً هدفه إقامة دولة الخلافة في المنطقة. والمسؤولون الألمان يولون توقعات جهاز الاستخبارات قدراً كبيراً من الثقة والمصداقية.

– قال هنري كيسينجر في خطاب له ألقاهُ في الهندِ بتاريخ السادس من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٤م في مؤتمرِ هندوستان تايمز الثاني للقادةِ ما يلي: "إن التهديدات ليست آتية مِنَ الإرهابِ، كذلِكَ الذي شهدناهُ في ١١ أيلول/سبتمبر، ولكنَّ التهديدَ آتٍ منَ الإسلام الأصولِيّ المتطرفِ الذي عملَ على تقويضِ الإسلامِ المعتدلِ المناقضِ لما يراهُ الأصوليونَ في مسألةِ الخلافة الإسلامية". وقالَ كيسينجر أيضاً: «إن العدوَّ الرئيسيَّ هو الشريحة الأصولية

الناشطةُ في الإسلامِ التي تريدُ في آنٍ واحدٍ قلب المجتمعات الإسلامية المعتدلة وكل المجتمعات الأخرى التي تعتبرُهَا عائقاً أمامَ إقامةِ الخلافة».[٣]

– نشرت صحيفة الحياة في ٢٠٠٥/١/١٥م تقريراً نشرته رويترز في واشنطن، ويحتوي هذا التقرير على تنبؤات تستند إلى تشاور تم مع ألف خبير من قارات العالم الخمس، حول توقعاتهم المستقبلية حتى عام ٢٠٢٠م، ويهدف ذلك التقرير إلى مساعدة رجال الاستخبارات والسياسة في مواجهة تحديات السنوات المقبلة. وتوقع التقرير «استمرار الهجمات الإرهابية». وتحدث التقرير عن أربعة سيناريوهات محتملة لتطور الأوضاع في العالم، وكان السيناريو الثالث الذي حذَّر منه التقرير هو «الخلافة الجديدة» كما أسماها التقرير.

– وتحدثَ رئيسُ وزراءِ بريطانيا السابقُ توني بلير أمامَ المؤتمرِ العامِ لحزبِ العمالِ في ٢٠٠٥/٧/١٦م، فقالَ: «إننا نُجابِهُ حركةً تسعى إلى إزالةِ دولةِ (إسرائيل)، وإلى إخراجِ الغربِ منَ العالمِ الإسلاميّ، وإلى إقامةِ دولةٍ إسلاميةٍ واحدةٍ تُحَكّمُ الشريعةَ في العالمِ الإسلاميّ عن طريقِ إقامةِ الخلافة لكلِّ الأمةِ الإسلاميةِ».

– وصرّحَ كذلكَ في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥م قائلاً: «خروجُنَا منَ العراقِ الآنَ سيؤدي إلى ظهورِ الخلافة في الشرقِ الأوسط».

– صرّحَ بوش في ٢٠٠٥/١٠/٦م بوجودِ استراتيجيةٍ لدى مسلمينَ تهدفُ إلى إنهاءِ النفوذِ الأمريكيّ والغربيّ في الشرقِ الأوسطِ، فقالَ: «إنَّه عندَ

---

[3] مجلةُ النيوزويك في عددِهَا الثامنِ من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤م.

سيطرتِهم على دولةٍ واحدةٍ سيستقطبُ هذا جموعَ المسلمينَ، ما يُمكنُهُم منَ الإطاحةِ بجميعِ الأنظمةِ في المنطقةِ، وإقامةِ إمبراطوريةٍ أصوليةٍ إسلاميةٍ منْ إسبانيا وحتى إندونيسيا».

– ويقولُ وزيرُ الداخليةِ البريطانيّ تشارلز كلارك في كلمةٍ له بمعهدِ هيرتيج الأمريكي بتاريخ ٢٠٠٥/١٠/٦م: «لا يُمكنُ أنْ تكونَ هناكَ مفاوضاتٌ حولَ إعادةِ دولةِ الخلافة ولا مجالَ للنقاشِ حولَ تطبيقِ الشريعةِ الإسلامية».

– وصرحَ جورج بوش في خطابٍ له للأمةِ الأمريكيةِ في ٢٠٠٥/١٠/٨م قائلا: "يعتقدُ المقاومونَ المسلحونَ أنَّهم باستيلائِهِم على بلدٍ واحدٍ سيقودونَ الشعوبَ الإسلامية ويمكنونَهُم منَ الإطاحة بكافةِ الحكوماتِ المعتدلةِ في المنطقةِ، ومنْ ثَمَّ إقامةَ إمبراطوريةٍ إسلامية متطرفةٍ تمتدُّ منْ إسبانيا إلى إندونيسيا".

– وفي ٢٠٠٥/١٢/٥م قالَ وزيرُ الدفاعِ الأمريكيّ دونالد رامسفيلد في تعليقٍ له حولَ مستقبلِ العراقِ، وكانَ ذلكَ في جامعةِ جون هوبكنز: "سيكونُ العراقُ بمثابةِ القاعدةِ للخلافة الإسلاميةِ الجديدةِ التي ستمتدُّ لتشملَ الشرقَ الأوسطَ، وتهددُ الحكوماتِ الشرعيةَ في أوروبا وأفريقيا وآسيا وهذا هوَ مخططُهُم، لقدْ صرَّحُوا بذلكَ وسنقترِفُ خطأً مروِّعاً إذا فشلنا في أنْ نستمعَ ونتعلم".

– ذكرت جريدة "مليات" التركية في ٢٠٠٥/١٠/١٣م نقلاً عن صحيفة نيويورك تايمز أن "أصحاب الصلاحية في إدارة بوش باتوا يتداولون

كلمة «الخلافة» في الآونة الأخيرة كالعلكة. لقد باتت إدارة بوش تستخدم وصف الخلافة قاصدةً به الإمبراطورية الإسلامية، التي كانت في القرن السابع تمتد من الشرق الأوسط وحتى آسيا الجنوبية، ومن شمال أفريقيا إلى إسبانيا".

– وكتب المعلق الأمريكي "كارل فيك" في صحيفة الواشنطن بوست، في ٢٠٠٦/١/١٤م، تقريراً مطولاً ذكر فيه أن "إعادة إحياء الخلافة الإسلامية، التي يهاجمها الرئيس الأمريكي جورج بوش، يتردد في أوساط السواد الأعظم من المسلمين"، وذكر أن "المسلمين يعتبرون أنفسهم جزءاً من «الأمة» التي تشكل قلب الإسلام، كما ينظرون إلى الخليفة كشخص جدير بالاحترام". وأشار هذا المعلق إلى أن "حزب التحرير، الذي ينشط في عدد من البلدان عبر العالم، يصرح بأن هدفه هو إعادة الخلافة لسابق عهدها".

– يقول الدكتور "أحمد القديدي"، وهو تونسي مقيم في الخارج، في مقال نشر له في صحيفة الشرق القطرية الصادرة يوم ٢٠٠٦/٥/١٧م تحت عنوان "العلماء الأمريكيون يتوقعون عودة الخلافة عام ٢٠٢٠م"، يقول ما نصه: «في الصفحة ٨٣ من التقرير الخطير الصادر هذه الأيام عن مؤسسة "روبير لافون" للنشر الباريسية بعنوان: «كيف ترى المخابرات الأمريكية العالم عام ٢٠٢٠م؟» نقرأ الفقرة التالية: «سوف يتمتع الإسلام السياسي من هنا إلى عام ٢٠٢٠م بانتشار واسع على الصعيد العالمي، ونتوقع أن ترتبط الحركات الإسلامية العرقية والوطنية ببعضها البعض، وتسعى ربما إلى تأسيس سلطة تتجاوز الحدود القومية». ويتابع فيقول: «هذا بالضبط ما يتوقعه علماء أمريكيون، وأشهرهم على الإطلاق عالم الاجتماع وأكبر خبراء استشراف

المستقبل "ألفين توفلر" صاحب كتاب – صدمة المستقبل – والعالم "تيد غوردن" أكبر خبراء مشروع "ميلينيوم بروجكت" الذي أنجزته منظمة الأمم المتحدة، والعالم "جيم ديوار" من مؤسسة راند كوربوريشن، والعالم "جاد ديفيس" المخطط لكل برامج شركة شل البترولية، وغير هؤلاء من الأعلام الذين لا يشق لهم غبار في علوم استشراف المصير». ويضيف: «وبالطبع فإن هذه الكوكبة من الأساتذة الجهابذة عملوا لمدة عامين لفائدة الوكالة المركزية للمخابرات بواشنطن، وخرجوا بتقرير خطير وأمين يرسم ملامح العالم بعد ١٥ سنة من اليوم، كما يرونه ومن خلال المؤشرات التي بين أيديهم».

– يقول قائدُ قواتِ التحالفِ الصليبيةِ المشتركةِ في العراقِ المحتلِ ريتشارد مايرز: "إنَّ الخطرَ الحقيقيَّ والأعظمَ على أمنِ الولاياتِ المتحدةِ هو التطرفُ الذي يسعى لإقامةِ دولةِ الخلافة كما كانت في القرنِ السابعِ الميلاديّ، وإنَّ هذا التطرفَ ينتشرُ بأماكنَ أكثرَ منَ العراقِ بكثيرٍ، ولكنه أيضاً يعملُ في العراقِ وينتشرُ فيهِ ويُحرضُ المقاومينَ على الأعمالِ الماديةِ ضدَّ أمريكا في العراقِ".

– نشر موقع الشاشة الإعلامية العالمية (Media monitors) في ٢٠٠٦/١/٣١م مقالاً فيه قراءة متأنية ونظرة ثابتة، ورؤية مستقبلية لما سيؤول إليه الصراع بين الغرب والإسلام. والذي سيصل بنظره إلى نتيجة واحدة وهي أنه "ليس لدى الغرب أي خيار سوى قبول حتمية الخلافة". وجاء المقال تحت عنوان: «الخلافة: تحدي الإسلام للنظام العالمي». وجاء فيه: «يسود اعتقاد ديني لدى الحركة الإسلامية المتطرفة بمشروعية دولة الخلافة على أنها قلعة

لاستعادة القوة الإسلامية، ووسيلة تتحدى بها تفرد الحضارة الغربية... وقد تختلف الحركة الإسلامية بناء على مصادرها من القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي حول منهجيتها لإحياء الخلافة بالعمل الجهادي أو الإصلاحي أو السياسي؛ إلا أنها تجمع بكل أطيافها على هدف إعادة الخلافة...». ويقول: «إن الخلافة حسب تعريف الحركة السنية الإسلامية هي رئاسة عامة لكل المسلمين تهدف إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وحمل الرسالة الإسلامية إلى كل العالم...». ويقول: "لقد نجحت الحركة الإسلامية بتقديم نموذج أيديولوجي بديل لليبرالية العلمانية الغربية للجماهير المسلمة حيث يتفق هذا النموذج مع القرآن. ويشكل إحياء الخلافة ذروة هذا النموذج ووسيلة لتحدي البناء العالمي المسيطر عليه من قبل الغرب...". ويقول: «وفي الواقع، إن القول بأن الإسلام السياسي قد فشل لأنه لم يتمكن من التأقلم مع الحداثة الغربية ومع البنية السياسية الغربية لا يعتبر محاكمة لفشل الإسلام السياسي، بل إنه برهان آخر على أن الإسلام وهندسة السياسة الغربية لا يتلاءمان من الأصل. ومن ناحية أخرى فإن قيام الحركات الإسلامية بتقديم بنية الخلافة كبديل سياسي ونظامي للأنموذج الغربي العلماني الحالي، يمثل نجاحاً للإسلام السياسي»، ويقول: «إن السياسة التي تقوم على مهاجمة فكرة الخلافة بربطها بالعنف السياسي لحركة الجهاد لن يزيل مشروعيتها المستمدة من القرآن. وقد لا يتفق العالم الإسلامي تماماً مع الطرق المسلحة لحركة الجهاد إلا أنه لا نقاش حول مشروعية الخلافة في القرآن. ولدى الحركة الإسلامية التي تحمل المنطق السياسي وعدم اللجوء للعنف نداء أعمق وأوسع، حيث تعتبر الراعية لفكرة إحياء الخلافة، ويعتبر أي هجوم على الخلافة هجوماً على الإسلام».

– وفي ٢٠٠٦/٩/٥م عاد جورج بوش لِيَتحدث عنِ الخلافة فقال: "إنَّهم يسعَوْنَ إلى إقامة دولتِهِمُ الفاضلةِ الخلافة الإسلامية، حيثُ يُحكَمُ الجميعُ من خلال هذه الأيديولوجية البغيضةِ ويشتملُ نظامُ الخلافة على جميعِ الأراضي الإسلاميةِ الحالية".

– في مؤتمر صحفي عقد في البيت الأبيض بتاريخ ٢٠٠٦/١٠/١١م تكلم فيه بوش الابن عن «عالم يحاول فيه المتطرفون إضافة الناس العقلانيين من أجل قلب الحكومات المعتدلة وإقامة الخلافة» وأضاف: "يريدوننا أن نغادر، ويريدون أن يقلبوا الحكومات، ويريدون أن يبسطوا خلافة، أيديولوجية ليس لديها مبدأ الحرية الطبيعي في معتقداتها".

– وقدْ نشرَ موقعُ أخبارِ البيتِ الأبيضِ بتاريخِ ٢٠٠٦/١٠/٢٠م عن جورج بوش قولَهُ: "هؤلاءِ الأصوليون يريدونَ إقامة دولةِ الخلافة كدولةِ حكمٍ، ويريدونَ نشرَ عقيدتِهِم من إندونيسيا إلى إسبانيا".

– قالَ وزيرُ الدفاعِ الأمريكيّ دونالد رامسفيلد في حفلِ توديعِهِ: "إنهم يريدونَ الإطاحة وزعزعةَ أنظمة الحكمِ الإسلامية المعتدلةِ وإقامة دولةِ الخلافة".

– وفي كتابٍ صدرَ عام ٢٠٠٧م بعنوان "سقوطُ وصعودُ الدولةِ الإسلاميةِ" لأستاذِ القانونِ بجامعةِ هارفارد المشهورة البروفيسور نوح فيلدمان «يؤكدُ أنَ الصعودَ الشعبيَ للشريعةِ الإسلاميةِ مرةً أخرى في العصرِ الحالي، رغمَ سقوطِها سابقاً، يمكنُ أن يؤديَ إلى خلافة إسلاميةٍ ناجحةٍ...»، ويقولُ فيلدمان في كتابِه «إن الإمبراطورياتِ وأساليبَ الحكم حينما تسقطُ فإنها

تسقطُ بلا رجعةٍ مثلما حدثَ مع الشيوعيةِ والملكيةِ الحاكمةِ إلا في حالتين فقط حالياً: الأولى هي الديمقراطيةُ والتي كانت سائدةً في الإمبراطورياتِ الرومانيةِ، وفي حالةِ الدولة الإسلاميةِ...» ويرصد المؤلفُ ظاهرةً قويةً ومتناميةً من المغربِ إلى إندونيسيا، وهي أن الشعوبَ الإسلاميةَ تطالبُ بعودةِ الشريعةِ وخصوصاً في دولٍ ذاتِ تعدادٍ سكانيٍ كبيرٍ مثلَ مصرَ وباكستان؛ متسائلاً: «لماذا يطالب الناسُ الآن بعودةِ الشريعةِ وينجذبون إليها رغم أن أجدادَهم في العصرِ الحديثِ نبذوها ووصفوها بأنها أثرٌ من الماضي السحيق؟".

ويقول إن «من ضمنِ الأسبابِ أن الحكامَ الحاليين فشلوا أمامَ الشعوبِ بما فيهم الغرب، وأن الشعوبَ الإسلاميةَ تفتقرُ إلى العدالةِ اليوم»؛ مضيفاً أنه لا توجد طبقةُ علماءٍ حقيقية أو طبقة قضاةٍ حقيقيين كما كان في السابق في الدولِ الإسلاميةِ حتى الآن.

- ذكرت الحياة في ٢٠٠٨/٧/٢٨م أن زلماي خليل زاد مندوب الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة حذر في حديث إلى صحيفة «دي بريسه» النمساوية من أن الاضطرابات في الشرق الأوسط والحضارة الإسلامية قد تتسببان في حرب عالمية أخرى» وأضاف أن «الشرق الأوسط يمر بمرحلة انتقالية صعبة للغاية أبرزت قوى التطرف ووفرت أرضاً خصبة للإرهاب» وقال: «إن العالم الإسلامي سينضم في نهاية المطاف إلى التيار الدولي السائد لكن ذلك سيستغرق بعض الوقت»، وأضاف: «لقد بدؤوا متأخرين، ليس لديهم توافق في الآراء بشأن مواقفهم، البعض يريد العودة إلى القرنين السادس والسابع الميلاديين إلى وقت النبي محمد» وتابع «الأمر قد يتطلب عقوداً حتى

يفهم البعض أن بإمكانهم البقاء مسلمين، والانضمام إلى العالم الحديث في الوقت ذاته».

– قالَ الرئيسُ الفرنسيُّ ساركوزي في ٢٠٠٧/٨/٢٨م: «لا داعي لاستعمالِ لغةِ الخشبِ لأنَّ هذهِ المواجهَةِ يرغبُ فيها "المتطرفون" الذينَ يحلُمُونَ بإقامةِ الخلافة من إندونيسيا إلى نيجيريا، رافضينَ أيَّ شكلٍ مِنْ أشكالِ الانفتاحِ وأيَّ شكلٍ مِنْ أشكالِ الحداثةِ والتنوعِ» بحسبِ زعمِهِ. وقالَ حينَهَا: «إنَّهُ لا يستهينُ بإمكانيةِ المواجهةِ بينَ الإسلامِ والغرب».

– أكد نائب رئيس مجلس الدوما (البرلمان الروسي) ميخائيل بوريف أن العالم في سبيله لأن يتألف من خمس دول كبرى هي «روسيا والصين والخلافة الإسلامية وكونفيدرالية تضم الأمريكيتين» وأضاف «والهند إذا نجحت في التخلص من النفوذ الإسلامي القوي الذي يحاصرها» على حد وصفه. وحمل غلاف كتاب: «روسيا... إمبراطورية ثالثة» لمؤلفه بوريف خارطة للعالم يظهر فيها عدد محدود من الدول، وتقع أوروبا ضمن حدود روسيا الذي توقع المؤلف أن تعود إمبراطورية ثالثة (بعد القيصيرية والشيوعية). وتوقع بوريف حسبما أوردت صحيفة الخليج الإماراتية في أن تعود بلاده إمبراطورية، وأن تفرض هيمنتها على القارة الأوروبية، التي توقع تفسخ دولها واندثار حضارتها. وأشار إلى أنه لا يستطيع الجزم أن روسيا بالذات ستحتل القارة الأوروبية، لكنه يعتقد أن الحضارة الأوروبية نحو الزوال، ولا بد أن يحتلها أو يغزوها هذا أو ذاك. وتوقع نائب رئيس الدوما أن يخرج معظم دول العالم من حيز الوجود بحلول عام ٢٠٢٠م. وأشار إلى أنه ستكون هناك فقط خمس دول كبرى أو

إمبراطوريات هي: روسيا التي ستضم أوروبا إليها، والصين التي ستهيمن بقوتها الاقتصادية والعسكرية على دول الشرق الأقصى، ودولة الخلافة الإسلامية الممتدة من جاكرتا إلى طنجة وغالبية أقاليم أفريقيا جنوب الصحراء، والكونفيدرالية التي تضم القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية. ورأى بورييف أن الهند يمكن أن تكون دولة كبرى إذا استطاعت مواجهة محيطها الإسلامي القوي.

- "غاي تولسون" هو أحد الكتَّاب الأمريكيين البارزين في شؤون الثَّقافة والفكر والدين، يكتب حاليّاً في مجلة U.S. News & World Report. كان رئيساً لتحرير The WilsonQuarterly وكتب في عدة صحف ومجلات أخرى، أبرزها "الواشنطن بوست" و"الوول ستريت جورنال". تخرَّج في جامعة برنستون، وألَّف كتابين، وحصل على جائزتَين بصفته أحد الكتَّاب البارزين في الدراسات الأدبيَّة.

في الثاني من كانون الثاني/يناير من عام ٢٠٠٨م كتب "تولسون" مقالاً، حاوَلَ فيه الوقوف على الدَّافع وراءَ جهود العديد من الإسلاميّين المعاصرين لاستعادة هذه المؤسَّسة الإسلاميَّة القديمة، التي ألغاها "كمال (أتاتورك)" في عام ١٩٢٤م، وأعلن بعدها تركيا دولةً علمانيَّة حديثة، هذه المؤسسة هي "دولة الخلافة الإسلامية".

"الخلافة" كما يراها "تولسون" ببساطة هي: "نظام لقيادة دينيَّة - سياسيَّة ترجع جذورُه إلى الخليفة الأوَّل للنَّبي محمَّد ﷺ في أوائل القرن السَّابع الميلادي".

يقول "تولسون": "إنَّ التَّنظيمات الجهاديَّة تكرِّر دوماً أنَّ هدفها الأساس هو استِعادة الخلافة الإسلاميَّة، والواقع أنَّ هذه التنظيمات الجهاديَّة ليست هي الوحيدة على السَّاحة الَّتي تسعى لتحقيق هذا الهدف، هناك تنظيمات أُخرى عديدة، ولكنَّها تنظيمات سلميَّة يغلب على بعضها الطَّابع الفكري وليس الجهادي".

يرى "تولسون" أنَّ الغرب قد أساء فهْم فكرة "الخلافة" واعتبرها مفهوماً غامضاً مهدِّداً له، في حين إنَّها عميقة الجذور في الذَّاكرة الثقافيَّة للعالم الإسلامي، ووجدت في أشكال مختلفة على مدى ألف وثلاثمائة عام تقريباً، وامتدت سلطة الخلافة عبر ثلاث قارات من هذه البلاد، التي تُعْرَف الآن بباكستان إلى منطقة الشَّرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلى ما يعرف الآن بإسبانيا والبرتغال، كما أنَّ معظم تاريخ المسلمين كان تحت ظلّ دولة الخلافة، وما يؤكد ذلك هو أن هذه الاستبيانات التي أُجْرِيت على شعوب أرْبع دول إسلاميَّة، كشفت أنَّ ثلُثي هذه الشعوب يؤيِّدون توحيد البلاد الإسلاميَّة في دولة واحدة أو خلافة واحدة.

تساءل "تومسون": ماذا تعني "الخلافة" بالنسبة لمناصريها وأعدائها، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين؟ وهل تتضمَّن هذه الخلافة برنامجاً سياسيّاً صالحاً للتَّطبيق؟ أم أنَّها مجرد مصطلح بلاغي من النَّاحية السياسية، مريح من النَّاحية النفسيَّة؟ أم أنَّها صرخة حرب تحشد وراءَها كلَّ هؤلاء الذين يبحثون عن القوَّة للإسلام، أو يسعون إلى مجرد إحداث تغيير؟

يجيب "تولسون" عن السؤال قائلاً: "إنَّ معظم الدَّارسين والمحلِّلين يرْون أنَّ السبب الأخير هو الصَّحيح، لكنَّهم يتَّفقون في الوقت نفسه على أنَّ الجدل حول "الخلافة" يكمن في هذه الأزْمة الحالية التي يعيشها العالم الإسلامى وقياداته، وما يزيد في تعقيد هذه الأزْمة هو نظرة الكثيرين من المسلمين – والإسلاميّين منهم بصفة خاصة – إلى أنَّ السلطتَين الدينيَّة والسياسيَّة لا تنفصلان في الإسلام".

يقول "تمارا سون" أستاذ الدراسات الدينيَّة بكلية "وليام وماري": "إنَّ فكرة استعادة دولة الخلافة تعود إلى فترة كِفاح المسلمين ضدَّ الاستِعمار أثناء الحقبة الاستعماريَّة وما بعدها، وهي تعكس عدم رضا المسلمين عن سياسات ما بعد هذه الحقبة.

رأى العديد من المثقَّفين المسلمين في أواخر القرْن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشْرين أنَّه لا سبيل لإصلاح بلادِ الإسلام إلاَّ إذا كانت الشَّريعة الإسلاميَّة هي المصدر الأساس للتوجيه السياسي والاجتماعي؛ ذلك لأنَّها هي التي ستحرِّر بلادهم من المؤسَّسات والقوانين الأوروبية المفروضة عليهم.

كان "حسن البنا" من هؤلاء المثقَّفين الَّذين حاولوا استعادة الوحدة الروحية والسياسيَّة، التي كانت على عهد الخلفاء الرَّاشدين الأربعة بعد وفاة الرَّسول ﷺ. تابع الإسلاميُّون تأسيس "حسن البنا" لحركة الإخْوان المسلمين التي ركَّزت على المشروعات والمؤسَّسات ذات الطابع الخيري، وسعْيها لتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، ولكن داخل رحم البناء السياسى القائم، أدرك

الإسلاميُّون أنَّ حركة "حسن البنا" لم تعْطِ "الخلافة" إلاَّ حيّزاً محْدوداً من اهتماماتِها.

عايش الإسلاميّون فترة فشَل الدَّعوة إلى "القوميَّة العربية"، ورفض "عبد الناصر" تطْبيق الشَّريعة، ثم انقلابه على حركة الإخوان التي رأى فيها تهديداً لسلطته.

يقول "جون فول" أستاذ التاريخ بجامعة "جورج تاون": "في وسط هذا الزخم برزتْ فكرة الجهاد العالمى بعد فشَل الفكر القومي وحربه ضدَّ الإسلاميين، وهنا عادت فكرة "الخلافة" إلى الظهور".

تتَّفق بعض التنظيمات السلميَّة الدَّاعية إلى الخلافة – كما يرى "تولسون" – مع هذا الطَّرح الجهادي جزئيّاً، لكنَّها ترى أنَّ هذه التنظيمات الجهاديَّة ما فكَّرتْ أبداً فيما وراء دولة الخلافة، وأنَّها – أي: التنظيمات السلميَّة – هي الَّتي اضطلعتْ بهذه المهمَّة، وحددت لنفسها برنامجا خاصّاً، وصاغت دستوراً مؤقَّتاً لدولة خلافة حديثة، ينوب الخليفة في هذا الدستور عن الأمَّة في السلطان وفي تنفيذ الشَّرع، هذا الخليفة هو الدَّولة، وهو الَّذي يملك جميع الصلاحيَّات التي تكون للدَّولة، وهو الذي يجعل الأحكام الشَّرعية حين يتبنَّاها نافذة، فتصبح قوانين يَجب طاعتها، ولا يجوز مخالفتها، وهو المسؤول عن سياسة الدَّولة الداخليَّة والخارجيَّة معاً، وهو الذي يتولَّى قيادة الجيش، وله حق إعلان الحرب، وعقد الصلح، والهدنة، وسائر المعاهدات.

نجحت هذه التَّنظيمات السلميَّة في تأسيس تصور أيديولوجي نشرت قواعده في العديد من المواقع الإلكترونيَّة، وعقدت العديد من المؤتَمرات التي بلغ

مَن حضروها أكثر من مائة ألف، كما يربو أعداد أتباعها عن ملْيون شخص موزَّعين في أربعين دولة، وقد أدركت العديد من الدُّول خطر هذه التَّنظيمات السلميَّة فحظرت أنشِطَتها، وألْقت القبض على العديد من أعضائها، وأخضعت الكثيرين منهم للتَّحقيق.

ورغْم هذا النجاح الَّذي حقَّقته هذه التَّنظيمات السلمية، فإنَّها قد تعرَّضت لانتِقادات حادَّة، أبرزُها: أنَّها تتمسك بالجوانب الفكريَّة على حساب الجوانب الجهاديَّة، وتميل إلى النَّزعة الاعتزاليَّة بتقْديم العقل على النَّقل، ولا تبالي في الوقت الحالي بالفروق الجوهريَّة بين السنَّة والشّيعة، كما تمتدِح الثورة الخمينيَّة، ويرى المحلِّلون الغربيُّون أنَّ هذه التنظيمات السلمية ليست إلاَّ مجرَّد ملاذ لليوتوبيّين المحبطين الباحثين عن بدائل للرَّأسْماليَّة والديمقراطيَّة الليبراليَّة.

قد تكون هذه الانتِقادات سبباً مباشِراً في اعتقاد "زينو باران" مديرة برنامج "مؤسَّسة هاديسون" بأنَّه من الممكِن أن تكون هذه التنظيمات بمثابة معمل تفريخ قد يصبُّ في النهاية في التَّنظيمات الجهاديَّة.[٤]

هذا التوازي غير المتوازن في خطر كلٍّ من التَّنظيمات السلميَّة والجهاديَّة الداعية إلى الخلافة، دفع كتَّاباً آخرين إلى التَّركيز على أكثر هذه التنظيمات

---

[4] Jay Toson, Caliph Wanted..؟. why an old Islamic institution resonates with many Muslims today, January 2, 2008. www.muslimbridges.org/index.php

خطراً في المرْحلة الحالية، وهي التنظيمات الجهادية، وحاولوا اقتِراح حلول لمواجهة ما أسموه بـ "فكرة دولة الخلافة".

– في الحادي عشَر من شهر كانون الثاني (يناير) عام ٢٠١٠ كتب "جون شيا" الصحفي الأمريكي البارز، ورئيس تحرير مجلة American Reporter بالمجلد السادس عشر برقم ٣٨٥١ – مقالاً بعنوان: "الحرب ضدَّ الخلافة"، تضمَّن المقال رسالة موجهة إلى الرَّئيس "أوباما" تتعلَّق بما أسماه "دولة الخلافة الخامسة".

بدأ "شيا" مقاله بالإشارة إلى اجتماع الرئيس "أوباما" بِمُستشاريه من أعلى القيادات العسكريَّة والمدنيَّة لمناقشة مسألة إرْسال قوَّات إضافيَّة إلى أفغانستان، يقول "شيا": «بعد عدَّة شهور من التروّي أصْدر الرَّئيس أوامرَه بانتِشار ثلاثين ألف جندي إضافي في أفغانستان، والآن ماذا عساي أن أقول والجنود في طريقِهم فعلاً إلى هناك؟! أفغانستان، هذه البلاد التي أصبحت بعد ما يقرُب من عقد من الزَّمان رهاناً لكسْر العظام في اللُّعبة الَّتي يلعَبُها الجهاديون.

المشكلة هي أنَّ الرئيس ومستشاريه لا يُريدون الاعتِراف بأنَّ هذه اللعبة تأخُذ الآن منحًى جديداً، إنَّهم لا يريدون الاعتِراف بأنَّ الجهاديين لا يسعَون إلى غزو البلاد الإسلاميَّة؛ وذلك لأنَّ لهم فيها قاعدة عريضة تنظُر إليهم وإلى قيادتِهم على أنَّهم يمثّلون القيادة الروحيَّة في الإسلام، إنَّهم يسعَون بدلاً من ذلك إلى بناء "دولة الخلافة الخامسة" الَّتي ينضوي الإسلام جَميعه تحت حكمها، "الخليفة" في هذه الدَّولة هو الإمام، وهو القائد الروحي والحكومي،

وكلّ المسلمين يقرُّون له بذلك. ماذا يعني هذا بالنسبة للرئيس؟ إنَّه يعني أنَّ الجنود الجدد، والجنود القدامى يُواجهون عدوّاً جديداً، وهو أكثر الأعداء مخافة، وأضيف: إنَّه عدو لا يُقهر، ذلك ببساطة لأنَّه مجرَّد "فكرة".

إنَّ هذه التنظيمات الجهادية لا تهدف إلى تحقيق فتوحات تكسب بها أرضاً، إنَّما تهدف إلى تحويل العلمانيّين والمسلمين المعْتدلين إلى "إسلام" لم يُمارسوه من قبل، إنَّه الإسلام الَّذي يلتزم فيه المسلِمون بالتفسيرات الصَّارمة للقرآن، وهو الإسلام الذي تبنَّته المئات من التَّنظيمات الإسلاميَّة المشابهة المنتشِرة عبر العالم الإسلامي، خاصَّة بعد الهجوم النَّاجح على الولايات المتَّحدة في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١م.

إنَّ "الخلافة" كفِكْرة تتطلَّب إنجازَ انتِصارات عسكريَّة من شأنها أن تُحقِّق إجماعاً بين المسلمين العاديّين، يجعلُهم يتبنَّون فكر هذه التنظيمات، سواء من ناحية الشَّكل الذي تريده للإسلام، أو قبول القيادة الجديدة التي تقود هذه التَّنظيمات والتي تحقق هذه الانتِصارات، إنَّ تحوُّل عددٍ كافٍ من المسلِمين العاديّين إلى هذا الفكر وهذه القيادة يعنى أنَّ "اتِّجاه الريح" ضدَّ الأمريكيّين بدأ في التغيُّر.

إنَّ تصوري للسيناريو الخاصّ بهذا التغير سيَكون على النَّحو التالي: "ستفقد الحكومات القوميَّة في بلاد الشَّرق الأوسط شرعيَّتها الضَّعيفة، ولن تعُود الأوامر تصْدر من عواصم هذه الحكومات، إنَّما ستصدر من هناك، من هذه المنْحدرات الجبليَّة التي يختبئ فيها قادة التَّنظيمات الجهاديَّة، وقد يكون أهم تغيُّر هنا هو تحوُّل الشّيعة من قم إلى طهران إلى أتباعٍ لقيادة التَّنظيمات

السنيَّة، ولا يعني هذا أنَّ آيات الله وقياداتهم في إيران – بمن فيهم الرَّئيس الإيراني – سوف يفقدون نفوذَهم بين الشيعة، أو أنَّ سلطاتهم ستتأثر، ولكنَّهم سيجدون أنفُسَهم في وضع يحتِّم عليهم الخضوع لهذا الفهْم السني للشَّريعة الذي سيفرضه قادة التَّنظيمات الجهاديَّة.

أمَّا هؤلاء الزُّعماء الذين يصرّون على المقاومة، فإنَّه ما إن يعلن قيام دولة الخلافة الخامسة، ستتجاهلُهم قيادة هذه الدَّولة في بداية الأمر، وستعْمل على تَحويلهم إلى منهجها، وإن لم يفعلوا فإنَّ مصيرَهم سيكون إمَّا السجن أو القتل.

لم تكن أوَّل إشارات لدولة الخلافة المفترضة سوى تَمريرها لكلمة "الخلافة"، وهذا الأمر لم يُلاحِظْه الكثيرون حينما ظهر على العديد من المواقع الإسلاميَّة الأصوليَّة. وفي الوقْت الذي كان فيه الغرْب يُتابع إشارات هذه المواقِع كمظهر للصِّراع ضدَّه، كانت هناك انتِصارات أخرى تتحقَّق في ميدان المعركة تمهِّد لميلاد دولة الخلافة.

من غير المحتمل أن تكون الاستراتيجيَّة التي قد تتبعها التَّنظيمات الجهادية قد اتبعت من قبل، فما إن يتَّخذ مائة ألف جندي أمريكي وحلفاؤهم مواقعَهم في أفغانستان، فإنَّ هذه التنظيمات وقياداتها قد تلْجأ إلى استِخْدام سلطتها الرُّوحيَّة ومفرداتها العقديَّة؛ لتحوِّل ملايين المسلمين الَّذين انضمُّوا فعلاً تحت لوائِها إلى جنود يُحاربون أعداء الإسلام.

حينما قدمنا لأفغانستان أوَّل مرَّة رحَّب الأفغان بنا وبحكومتِهم التي صنعناها لهم، هذا كان بالأمس، أمَّا في الغد فإنَّ الأمر مختلف بجدّ، ستطْلب المجالس المنتخبة لدوْلة الخلافة حديثاً – الَّتي تسيطر على معظم أنْحاء البلاد – من كل مسلم: أن يضطلِع بدوره إلى الجهاد ضدَّنا، عندئذ تتغيَّر أوْضاعنا من

قوَّات كانت تحْظى بشرف نسبي، إلى قوَّات أسيرة شرَك كبير للغاية، ويضيق عليها هذا الشرك يوماً بعد يوم.

الحقيقة الجليَّة هي أنَّه لا يستطيع أي جيش في العالم، ولا أيَّة قوَّة عسكريَّة – مهما بلغت درجة تسليحها – أن تهزم "فكرة".

يجب أن نقرَّ بأنَّنا لا نستطيع أن نحرق قادة هذه الفِكْرة في كلّ بلاد الشَّرق الأوسط، ولا أن نحرق كتُبَها، ولا أن ننشر أسرارها؛ ذلك لأنَّ هناك إجماعاً بين المسلمين على هذه الفكرة.

إنَّ الشرق الأوسط يواجه اليوم القوَّة الاقتصاديَّة الموحَّدة للدُّول الأوروبيَّة، هذا صحيح، لكن علينْا أن نعرِف أنَّه في الغد سيواجه الغرب القوَّة الموحَّدة لدولة الخلافة الخامسة.

ليسمح لي سيادة الرئيس "أوباما" أن أُبدي إليه بعض الملاحظات الهامَّة.

سيدي الرَّئيس: إنَّ المعركة بين الإسلام والغرْب معركة حتميَّة لا يمكن تجنُّبها، وهي ذاتُ تاريخ قديم، ولا بدَّ أن نضعَ حدّاً لهذا الصراع، وليس أمامنا إلاَّ أن ندخل في مفاوضات سلام مع الإسلام.

إني أتوقَّع أن يخبرَك البعض بأنَّه من المستبعد تماماً أن ندخُل في مفاوضات مع عدوّ متخيَّل اسمه "الخلافة الخامسة"، لكنَّه يجِب عليك كقائد عسكري وأنت تصوغ سياستك في التعامل مع الإسلام أن تعترِف بسخافة الادِّعاء بأنَّ الإسلام منقسم على نفسه، وأن تعترف كذلك بأن توحيد بلاد الإسلام تحت إمرة قائد كارزمي أمر محتمل.

إنَّه من المسلَّم به أنَّه يصعب محاربة شبح لا يمكن رؤيته، أو حتَّى الاعتقاد بوجوده، لكنَّ الأشدَّ صعوبةً هو أن تجِد هذا الشَّبح قد أصبح

حقيقة واقعة لَم تحسب لها حساباتك، فإذا حدث ذلك – وهو ما تسعى إليه التَّنظيمات الجهاديَّة – سنكون قد وقعنا في شركٍ كبير آخَر، الملايين من المسلمين سيقِفون ضدَّنا، وعندئذ يصعبُ علينا التَّراجُع.

إنَّ معظم الأمريكيين يكرهون التَّعايش مع حرب طال أمدُها من أجل ضمان إقامة ديمقراطيَّة حرَّة في أفغانستان، أو من أجل مساندة أنظِمة في باكستان والعراق، ويكره الأمريكيون كذلك فكرة وجُود أمريكي دائم لمْنع احتمال تحقيق التَّنظيمات الجهاديَّة نصراً حاسماً علينا يُفقدنا نمط الحياة الذي نعيشه، إنَّنا شعب يملك إرادة قويَّة، ويجب ألاَّ ننتظر حتَّى تتحطَّم إرادتنا من قبل عدوٍّ يَملك إرادة أقوى.

إنَّنا نعيش مرحلة تتصارع فيها العاطفة مع الأيديولوجيا؛ لهذا فإنَّ الأمر يتطلَّب منا إحداث توافق مع الإسلام، قبل أن تَسيل شلالات الدِّماء من أجساد الأمريكيّين، وهذا أمر قد يحدث قريباً، يجب أن تكون لديْنا الحكمة فلا نضع أنفُسَنا في قلب الحرْب مع دولة الخلافة الخامسة، والأفضل لنا أن نقِف على حدودها، يجب أن نزِنَ أنفُسَنا جيّداً، يجب أن نفكّر بضميرنا الخاص كأمريكيّين، فليس من الحكمة أن نساند أنظِمة غير ديمقراطيَّة وعالية الفساد ضدَّ دولة الخلافة التي تصوغ سياستَها أصلاً وفق عقيدة تُحارب الفساد والقيادة غير الرَّاشدة، بأكثر ممَّا تحاربه المبادئ اليهوديَّة – المسيحيَّة الَّتي تتَّسم بالتسامح والتَّعاطف مع الخطيئة والمخطئين على السَّواء.

سيادة الرئيس: علينا ألاَّ نخاف من قيام حكومة أمينة أيّاً كانت صفتها، إنَّ الَّذي علينا أن نَخافه هو قيادات تخون مبادئها الأساسيَّة.

إنَّنا مسؤولون يا سيادة الرئيس عن العديد من الصَّفقات التي تعمل على تمكين الفساد في دول الشرق الأوسط، وعن العديد من الخطوات غير

العقلانيَّة التي اتَّخذناها لضمان بقاء الحكومات الفاسدة، إنَّه بإمكانِنا أن ننسحب من صراعٍ ظاهر الملامح بدلاً من أن ندخُل في حربٍ ضدَّ جيش غير منظور، وبمعنى أصحّ: ضد "فكرة"، إنَّنا إذا لم نعترِف بهذه الحقيقة، فعليْنا أن نتوقَّع هزيمة أو انسحاباً حتميّاً، عليْنا أن نعرف: مَن هذا الذي نحاربه؟ وما الذي نحارب من أجله؟ إنَّه عدو متسلح بدينه يُهاجِمُنا يوماً بعد يوم، هل نحن نحارب من أجل السَّيطرة على أراض ومقاطعات، أو نحارب فكرة حانَ وقتُها الآن تملؤها رغبة في الانتِقام منَّا؛ لقتلنا مئات الآلاف من الأرواح البريئة؟

الحقيقة هي أنَّنا نحارب الآنَ في أفغانستان أكبر بلاد العالم في تِجارة الهيروين، لصالح حكومة مِن أشدِّ حكومات العالم فساداً، لقد انسحبْنا من العراق في وقتٍ بدأتْ فيه المصالحة الوطنيَّة تجني ثمارها، ورغْم ذلك تتصاعدُ الهجمات ضدَّ الجنود والمدنيّين، ومع الأسف فإنَّ الحكومات الَّتي شكَّلْناها هناك هي ذاتها تُعتَبَر شكلاً جديداً من الحكومات التي تسْعى إلى تأْخير وتَحطيم أُسُس الديمقراطيَّة الحرَّة.

إنَّنا لا نستطيع أن نملي مستقبل السياسة على الشرق الأوسط، أو نرسم سياستَنا لكي نضْمن فقط بقاء أنظمة بعينها، أو لضمان استِمرار إمدادنا بمصدر واحد، إنَّ مستقبلنا يكمن في التِّجارة مع عالم ينعم بالسَّلام، تتوافر فيه الوظائف لشعْبِنا، ويحدث فيه التقدُّم في التكنولوجيا والاختراعات، هذا هو الَّذي يصنع الفارق، دعنا نُحارب من أجل ذلك، وليس من أجل حكومات شيْطانيَّة.

سيدي الرئيس: أشكرك لاستماعك إليَّ، وأنا فخور بأنِّي أعطيتُك صوتي في انتخابات الرِّئاسة الأخيرة».[٥]

---

[5] JOE SHEA, THE WAR AGAINST THE CALIPHATE ,American Reporter Vol. 16, No. 3,857 - - January 19, 2010

الخلافة في عصر الثورات

إن المسلمين منذُ أن سيطر عليهم حكمُ الكفر بعد هدم دولة الخلافة سنة ١٩٢٤م، وصارت إلى الكفارِ والمنافقين والمرتدين أمورهم، وهم يحاولون أن يتحرروا من سلطانِ الكفر، وسيطرةِ أربابه وأعوانه. بيدَ أنهم بعدَ أن خلعوا بعضَ الظالمين من حكامهم في تونس ومصر وليبيا، لم يدركوا أنَّ تغيير النظام لا يكون فقط بإزالةِ رأسه، بل يجب تغييرُ النظامِ برمته، لأنه نظامٌ يخالفُ عقيدتهم، فنظام الحكم الذي يجب أن تسعى الأمة ليكونَ النظام الذي يحكمها هو نظامُ الخلافةِ الذي بيّن رسول الله والصحابة من بعده أدقَ تفاصيله.

فمنذُ سقوطِ حسني مبارك، ظهرَ اتجاه مضاد بقيادة القوى الغربية وحلفائها في الخليج لتحطيم الثورات العربية أو السيطرة عليها، فلقد حاولوا باستماتة الإبقاء على الهيمنة الغربية بشكلٍ أو بآخر. ولقد نجحوا إلى حد كبير في ذلك، وقد تم لهم ذلك لعدم وجودِ مشروع سياسي مناهض للهيمنةِ الغربية، وبديل عن النظام الحالي لدى الثوار والقوى الفاعلة الأساسية على المسرح السياسي، بل يمكننا التأكيد على عدم وجود أي برنامجٍ سياسي فعلي لتلك القوى بديل عن النظم السابقة، لا الإسلامية منها ولا غير الإسلامية. وقد وضح هذا بعد فشل الإخوان في مصر، والنهضة في تونس في إحداث أي بوادر لنهضة حقيقية، وعدم القدرة على معالجة المشاكل التي يعاني منها الناس في البلدين، والذين يتصدرون المشهد السياسي الآن ويقدمون أنفسهم كبديل عن حكم الإخوان لا يملكون أيضا أي تصور للنهوض بالبلاد، كما لا

يملكون القدرة على معالجة مشاكل الناس الحقيقية، وها هي مصر تكاد تعود إلى نقطة الصفر أو إلى ما قبل ٢٥ يناير على أيديهم، وفي تونس الوضع مرتبك كذلك، فهو يتعثر ويكاد أن يلحق بمصر.

ربما تكون تونس ومصر وليبيا قد أزالت كابوسَ الطغاة ومخابراتهم، وقلصت نفوذَ العصابات الناهبةِ للثروات لفترة من الزمن، ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا، ونكاد نعود لما هو أسوأ منه. فهل خرج الحكم عندنا من القبضةِ الغربية؟! لا! هل خرج بخروج مبارك من الحكم؟ لا! هل خرج باستلام المجلس العسكري للحكم؟ لا! هل خرج بمجيء الدكتور مرسي للحكم؟ لا! هل خرج بعد إخراج مرسي من الحكم؟ لا! هل خرج بهيمنة السيسي على مقاليد البلاد بشكل فعلي؟ لا! من كان يظن ذلك فليراجع نفسه!

لا شكَ أن أمريكا تخلت مرغمةً عن عميلها مبارك في مصرَ تحت وطأة الثورة الشعبية، وما كانوا يحبون لأنفسهم ولا لعملائهم أن يُطردوا على هذا النحو المذلّ وبهذه السرعة المفاجئة، وبالتأكيدِ لم يكونوا يتمنون أن يصلوا إلى هذا المشهد المربك لهم، ومع ذلك فإن زمام الأمور لم ينفلت من أيديهم طوال الفترة الماضية، وهذا مما يؤسف له. فقد ظهر أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة هو أداة أمريكيةٌ صلبة، تقاتلُ بما أوتيت من قوةٍ من أجلِ الحفاظِ على الهيمنة الأمريكية، وعلى الحلف اللعين مع كيان يهود. والمجلس لم يختفِ من المشهد السياسي في مصر، حتى في ظل حكم مرسي الذي أقال شخصيات بارزة فيه، على رأسهم المشير طنطاوي والفريق عنان، تبيّن بعد ذلك للكثيرين من المتابعين أن الإقالة تمت بإرادة أمريكية، وإن كنا بيّنا وقتها ذلك. لقد عاد العسكر بقوة إلى المشهد السياسي مرة ثانية ومن دون ستار، فستار الحكومة

المؤقتة والرئيس المؤقت مزيف مفضوح، لا يمكن أن يخفي حقيقة أن وزير الدفاع هو المتحكم في شؤون البلاد.

ولعل السؤال الأبرز في تلك اللحظة الفارقة هو الآتي: هل نحن في طريقنا لتأسيس ديكتاتوريات جديدة تحت المظلة الأمريكية؟ هل نحن بصدد صناعة زعيم صاحب السلطة المطلقة؟ وهل يمكن أن تعود الأمة لتساق مرة أخرى بالحديد والنار؟ هذه التساؤلاتُ الماثلة، بل الصارخةُ في واقع العالم الإسلامي اليوم، يجب أن تنبه الغافلين الذين غرقوا في نشوةِ النصرِ على طاغيةِ تونس وفرعونِ مصر وسفاحِ ليبيا، أن استفيقوا فقد غرقتم كثيراً في سكرةِ النصر في الجولة الأولى، فإذا بكم تسقطون صرعى في الجولة الثانية!

وإذا كانت الجولةُ الأولى قد احتاجت جرعة كبيرة من الجرأة والشجاعة، لإنتاج ذلك المشهدِ البطولي الذي رأيناه في ٢٥ يناير، فإنَّ ما بعد الجولة الثانية التي سقطنا فيها، يحتاج إلى مراجعة للنفس، وإنعامِ الفكر وعمقِ النظر وسعةِ الوعي والعمل الدءوب، فقد تبين للكثيرين أن التغييرَ الحقيقي لا يحصلُ بدحرجةِ الرؤوسِ الكبيرةِ وحسب، بل يبدأ بالفكرِ ويستمر بالفكرِ والعملِ، ويُحصَدُ بوصولِ برنامج سياسي حقيقي إلى سدةِ الحكم، لا بمجرد رفع شعارات واستنساخ أنظمة غربية لا تعبر عن عقيدة الأمة وحضارتها، أو الإبقاء على ما هو قائم مع إضافة بعض المساحيق له.

يعمل هذا البرنامج السياسي الحقيقي على إعادةِ صياغةِ المجتمعِ والدولةِ صياغة جديدة، تُنتِجُ لنا حياة جديدة بطريقةِ عيش جديدة، جديدةٍ ثقافةً وحكماً واقتصاداً واجتماعا وتعليما وقضاء وإعلاما وسياسة خارجية، تقطعُ كلَ صلةٍ بالحضارة الغربية التي اكتوى العالم بلهيبها واحترقَ بنارها وحروبها،

واختنق بدخانها الأسود، وتعفّن بنتنها وسُحق باقتصادها الغاشم وتاه بضلالها، إنه خيار واحد لا غير، الإسلامُ من حيثُ هو مبدأٌ، عقيدة وشريعة، فكرة وطريقة، ومزج بين الروح والمادة، حضارة تؤسسُ لمدنية متألقة زاهرة على أساس روحي عميق راسخ.

ولذا تعين علينا التأكيد على حقائقَ ثلاث:

١) حقيقة أن الإسلامَ قد جاء ليبقى هدايةً للناس أجمعين إلى آخر الدهر. فليس له بديل ولا ناسخ قط. فلا وحيَ بعدَ القرآن، ولا نبي بعد خاتم النبيين ﷺ.

٢) حقيقة أن محاولات التنفير من الإسلام أو إطفاء نوره هي محض وهم. فلقد تنزَّل على نبي الإسلام ﷺ قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢]، فالإسلام منتصر مهما حاول الكفار وأعوانهم صرفنا عنه.

٣) حقيقة أنّ الواقعَ التاريخي قد صدَّق الحقيقتين الآنفتين: حقيقة أن لا وحي بعدَ القرآن ولا نبي بعدَ خاتم النبيين... وحقيقة أن محاولاتِ إطفاء نور الإسلام محاولاتٌ يائسة، مهما حاولت أن تأخذ صوراً شتى: فكرية كانت أم ثقافية للتشكيك في الإسلام، أم عسكرية لاجتثاثِ أمة الإسلام من الأرض... إلى غير ذلك من صور المعركة وأشكالها وأساليبها.

إنَّ من أعمقِ وأقوى أسبابِ وصولِ الإسلاميين إلى الحكم في أكثرَ من بلدٍ عربي، أنَّ المسلمين يحبون إسلامهم، ويستجيبون لكل داعٍ له، بغضِ النظر عن أهدافِ الداعي الحقيقية ووعيه على الإسلام. وهذا كان يحتم على الإسلاميين الذين وصلوا إلى السلطة أن يدركوا أن معركتهم لم تنتهِ، بل إنها قد

بدأت لتضعهم في اختبار حقيقي يظهر للناس مدى قدرتهم على سياسة ورعاية شؤون الناس، ويضيف عليهم مزيدا من المسؤوليةِ في الجِد والصدق في الأخذ بالإسلام، والحرص عليه، ولن يعفيهم حديثهم عن الإسلام باعتباره "مصدر إلهام" أو "مصدرا رئيساً" فحسب، أو قولهم إن الحرية يجب أن تتجذر في المجتمع قبل الحديث عن تطبيق الإسلام، أو توفير العيش الرغيد والنهوض بالاقتصاد قبل تطبيق الإسلام، ذلك أن مثلَ هذه الأطروحات ما هي إلا تلاعب بأحكام الله، والتفاف عليها وتملص من وجوب تطبيقها، وهذا حمل المسلمين المخلصين على أن ينفضوا من حول هؤلاء "الإسلاميين"، لأنهم إنما صوتوا لهم في الانتخابات كي يحققوا أمانيهم بتطبيقِ شريعةِ الله عز وجل. فهي وحدها التي ستوفر لهم الحرية بمعناها الحقيقي بألا يكونوا عبيدا سوى لله، وهي وحدها التي ستوفر لهم وتؤمن لهم العيش الرغيد، وبها وحدها التي ستحقق لهم النهوض.

إنَّ تجربةَ "الإسلاميين المعتدلين" في الحكم قد فشلت بشكل واضح لا يمكن إنكاره، ليس لأنهم حكموا بالإسلام، بل لأنهم لم يحكموا به! ولا يَظُنَّنَّ ظانّ أن هذا الطريق المعوج الذي ساروا فيه هو الحكمُ النهائي على مسيرةِ الإسلام. بل هي آية أخرى من آيات الله أن الذي يحيد عن طريقه المستقيم وعن الانصياع لأحكامه – بحسن نية أو بسوئها – لن يفلح ولن ينصره الله، بل سيقع في الخزي والمعيشة الضنك، وأن الله لن ينصر إلا من التزم الطريقة الشرعية في التغيير، الطريقة التي بينها لنا المصطفى ﷺ وسار عليها، ولم يحد عنها قيد شعرة! فالإسلام هو الدينُ الحق والرسالة الخالدة، قد وجد قبلهم وسيستمر من بعدهم يقيناً، وكل تجربة فاشلة نتيجة معصية وحيْدٍ عن هذا

الحق يبوءُ بها أصحابُها ولا تُحسبُ على الإسلام: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

لا شك أنَّ الثورةَ المباركةَ التي أطاحت بمبارك وبعض طغمته الفاسدة، كانت بشيرَ خيرٍ لهذه الأمة، ذلك أنها كسرت حاجزَ الخوفِ الذي كان يقيّدُ الأمةَ لعقودٍ طويلةٍ ويمنعها من العملِ الجاد للتغيير. ولذا فإننا نقولُ إنَّ هذه الحركة الانقلابية التي قام بها العسكر وأعوانهم، ستكون في النهاية وبالا عليهم وعلى راعيتهم أمريكا التي هي سبب كل بلاء تعاني منه الأمة، وما يحدث الآن من حراك مجتمعي سيكون مقدمة للتغيير الحقيقي الذي ننشده، وإنه مهما حاولت أمريكا وغيرها من دولِ الكفر ثنيَ الأمةِ عن السيرِ في طريقِ التغيير إلى آخره، فإنَّ الأمةَ اليومَ لن يوقفَ حركتَها القويةَ تلك، أيُ قوةٍ مهما كانت، وستفشلُ خطط أمريكا التي تصل الليل بالنهار لمنع الأمةِ من زلزلة عرشها في بلادنا. وسيأتي قريبا اليوم الذي نخرج فيه من القبضة الأمريكية، وإن غداً لناظره قريب!

الزمنُ مفعمٌ بكلِ الاحتمالاتِ المفتوحة، وإنَّ أعظمَ الاحتمالات؛ بل هو عين اليقين، عند العدو قبل الصديق، هو عود الإسلام من جديد للحكم... ودولة الخلافة الإسلامية القادمة بإذن الله هي التي ستعيد للأمة مجدها ومكانتها اللائقة بها: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

مما لا شك فيه أن الثورة في مصر مختطفة إلى الآن، وكل الثورات ستستمر حتى تنتهي إلى إقامة الخلافة بإذن الله، فتقوم على أنقاض الأنظمة الجبرية في مصر، وتونس، وسوريا، وكل العالم. والالتفاف على الثورات لن يلبث إلا قليلاً حتى يعود الناس إلى وعيهم مرة أخرى، ويقيموا دولتهم

الضائعة، دولة الخلافة، لا الدولة المدنية الديمقراطية التي يحاول الغرب وعملاؤه العلمانيون أن يجعلوها بديلاً عن الأنظمة الحالية الآيلة للسقوط في بلاد المسلمين. والطريق إلى دولة الخلافة طريق واحد لا غير: أن تقود الأحزاب الإسلامية المبدئية جموع المسلمين، ممثلين بقياداتهم السياسية والعسكرية، لأن يطبقوا الإسلام في دولته. وهذا معناه أن لا تتقاسم تلك الأحزاب الحكم مع أعداء الدين، كما حصل إلى الآن في تونس ومصر، لأن البديل سيكون دولة مشوهة متخبطة تتنازعها أطراف متصارعة، ولا يزدهر فيها إلا الفساد والتآمر والعلمنة والخيانة والخنوع للكافر المستعمر ومشاريعه، وقبل ذلك كله، العجز الكامل عن تطبيق الإسلام كنظام سياسي رعوي شامل.

ففي زمن الثورات زال الحاجز الكثيف بين الأمة وبين رافعي لواء الخلافة من المخلصين المبدئيين الذين يسعون لإحداث تغيير حقيقي في الأمة يقوم على أساس فكري متين، ومن هنا يمكننا القول إن فكرة الخلافة في زمن الثورات أصبحت أشد قوة وأشد تأثيرا من ذي قبل، خاصة في بلد الثورة الحقيقية سوريا، التي أصبحت فكرة الخلافة فيها رأيا عاما منبثقا عن وعي عام استطاع حتى الآن إفشال كل مخططات الغرب لحرف الثورة عن مسارها كما جرى في مصر وتونس.

الخلافة الإسلامية

بين مبدئية حزب التحرير وتنازلات غيره

نشرت جريدة "المصريون" بتاريخ ٢٠١١/١١/٢٩م ما قاله المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين الدكتور محمد بديع في رسالته الأسبوعية من "أن الجماعة أصبحت قريبة من تحقيق غايتها العظمى التي حددها الإمام حسن البنا مؤسس الجماعة، وذلك بإقامة نظام حكم عادل رشيد بكل مؤسساته ومقوماته يتضمن حكومة ثم خلافة راشدة وأستاذية العالم". ولأن هذه التصريحات أثارت حفيظة التيار العلماني في مصر، الذي يحارب منذ ثورة ٢٥ يناير ليحافظ على النظام العلماني الجمهوري في أرض الكنانة، رافضا بشكل قاطع أي حديث عن الحكم الإسلامي، فقد تصدى الدكتور عبد الرحمن البر عضو مكتب الإرشاد في الجماعة للهجوم الذي لاقته هذه التصريحات، فقام بتفريغ تصريحات المرشد العام من مضمونها في محاولة منه لاسترضاء العلمانيين، ومَن وراءهم من دول الغرب الكافر الذين أرهبهم هذا الصعود المتنامي للتيار الإسلامي في مصر، وما صاحبه من ارتفاع الأصوات المطالبة بالحكم بالإسلام من خلال دولة الخلافة، فقال الدكتور البَرّ، حسب ما نشرته جريدة الحرية والعدالة في ٢٠١٢/٠١/٠٥م «إن المرشد العام لم يقصد بالخلافة الراشدة ذلك النمط التقليدي من وجود خليفة على رأس دولة الخلافة يولي الولاة وغير ذلك» وإنما قصد «أن يكون هناك اتحاد بين جميع الدول العربية والإسلامية»، معتبرا نموذج منظمة التعاون الإسلامي نموذجا يمكن تطويره والبناء عليه!.

ويكاد يكون هذا الأمر هو تكراراً لما حدث في تونس حين صرح حمادي الجبالي، الرجل الثاني في حركة النهضة، بتاريخ ٢٠١١/١١/١٣م في مدينة سوسة عن الخلافة السادسة، مما أثار أيضا جدلا واسعا في الساحة التونسية، فاضطر للتراجع مؤكدا على أن «العبارة أخرجت من سياقها»، ومضيفا رسالة الاطمئنان للطرف المعادي في قوله «إن خيار حزب النهضة في الحكم السياسي هو خيار النظام الجمهوري الديمقراطي الذي يستمد شرعيته من الشعب». وقد فتح تراجع الجبالي السريع عن تصريحه هذا الباب أمامه ليصبح رئيسا للحكومة التونسية، ثم تلاه تصريح رئيس الحركة الغنوشي أن الجبالي هو رئيس وزراء تونس وليس الخلافة العثمانية.

وفي هذا السياق كتب الدكتور رفعت السعيد على موقع "أهل القرآن" في ٢٠١٢/٠١/٠٧م مقالا بعنوان «عن الخلافة وأوهامها»، محاولا بشكل مفتعل مفتقِر إلى الفهم الشرعي نفي القول بفرض الخلافة كنظام للحكم في الإسلام. حيث اعتبر أقوال علماء المسلمين كالشهرستاني والجرجاني والغزالي والآمدي في اعتبار أن الخلافة ليست من أصول العقائد دليلا على عدم فرضيتها، وربما لجهل الدكتور بأحكام الدين وأقسامها وكيفية استنباطها؛ فإنه لم يفرق بين العقيدة والحكم الشرعي. فإثبات فرض الخلافة هو إثبات لحكم شرعي تضافرت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة عليه، ومحلها ليس في باب العقائد، بل في باب الأحكام المتعلقة بأعمال الإنسان، كالصوم والزكاة وغيرها. وننقل للدكتور ما نقله هو نفسه عن الجرجاني في «شرح المواقف»: «إن الخلافة ليست من أصول الديانات والعقائد، بل هي

من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين»، والحكم الشرعي هو خطاب الشارع سبحانه المتعلق بأفعال العباد «المكلفين»، بينما العقيدة هي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل.

وفي سياق متصل فقد أصدر حزب التحرير – الذي ارتبط اسمه في الساحة الإسلامية بالدعوة المركزة لإقامة الخلافة الإسلامية – العديد من البيانات التي تتحدث عن الوضع في مصر، وقام بتوزيعها بشكل كفاحي موسع، كان منها ذلك البيان بتاريخ ٢٠١٢/٠١/٠٦م، الذي يحمل عنوان «أيّها الأهل في مصر: هل يجب أن تُجرِّبوا لعقود أخرى من الزمن، دولة علمانية ديمقراطية بمجلس شعب منتخب لا حول له ولا قوة، لتدركوا أن لا خلاص لكم إلا بالخلافة الإسلامية الراشدة؟!»، وأثناء توزيع البيان على الناس قام بمنع التوزيع بعضُ من لهم اتصال بالأجهزة الأمنية، زاعمين أنهم من السلفيين، في حين إن السلف الصالح قدَّم انتخاب الخليفة على دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعظم فرضها، وأما هؤلاء فقد منعوا أحد أعضاء الحزب من إتمام عملية توزيع بيان عن فرض الخلافة! ومن ثم قاموا بتسليمه إلى الشرطة، ومن بعدُ إلى النيابة التي أخلت سبيله بمحضر رسمي وأعادت له باقي المنشورات.

وعلى إثر هذه الحادثة التي أبرزتها الصحافة على أنها اشتباكات عنيفة بين شباب الحزب وبعض السلفيين، قامت محطة دريم٢ الفضائية يوم ٢٠١٢/٠١/١٠م بتخصيص حلقة من برنامج الحقيقة حول الموضوع...

ومع أن الحلقة لم تكن منصفة، حيث إن مقدم البرنامج قد قرأ بيان المجلس العسكري حول حزب التحرير، ولم يقرأ رد الحزب على بيان المجلس العسكري! الذي بين فيه الحزب أنه حزب عالمي يعمل على توحيد بلاد المسلمين في دولة الخلافة الإسلامية، لكن الأبراشي تجاهل الأمر ضارباً بكل المواثيق الصحفية من حيادية وموضوعية ورمى بالرأي والرأي الآخر عرض الحائط!

ومع أن الحلقة كذلك قد حملت افتراءات على الحزب وعلى الخلافة مأخوذة من كتب مشبوهة صدرت خصيصاً ضد الحزب وضد الخلافة...

ومع أن بعضهم سقط في سوء قوله حيث انتقد ما ورد في كتب الحزب من أنه "لا يجوز في حق الرسول ﷺ أن يكون مجتهداً" انتقد ذلك بقوله: "إن حزب التحرير يقول عن أميره إنه مجتهد مطلق ولكنه لا يقول عن الرسول ﷺ إنه مجتهد"! جاعلاً المسألة هي المقارنة بين القدرة على الاجتهاد!! إن هذا غريب عجيب، فكيف يرى في قولنا "لا يجوز في حق الرسول أن يكون مجتهداً" أنها تعني أن الرسول ﷺ لا يستطيع الاجتهاد وأن شيخنا يستطيع؟!

لقد جهل أو تجاهل هذا الرجل أن اجتهاد المجتهد يحتمل الخطأ والصواب، وهذا لا يجوز في حق الرسول، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولا يقول إلا صوابا...، ويجوز الاجتهاد في حق شيخنا الذي هو كغيره من المجتهدين رأيه صواب يحتمل الخطأ. لقد حرف الدكتور المسألة وصورها وكأن المقصود بها القدرة على

الاجتهاد، وكأننا نعدّ قدرة شيخنا في الاجتهاد فوق قدرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم! وهذا تحريف أيما تحريف! وتضليل أيما تضليل فساء ما يحكم!

لكن، مع كل هذا وذاك، فإن الذي لا شك فيه هو أن دعوة الحزب استفادت من هذه الحلقة التي ساهمت في كسر التعتيم المفروض على الحزب في مصر، فخبر توقيف الشاب وعرضه على النيابة ومن ثم الإفراج عنه، كان خبراً صدع به الإعلام، في حين إن خبر اعتقال ١٢٠ شابا من شباب الحزب عام ٢٠٠٢م لم يحظ بتغطية إعلامية مماثلة آنذاك رغم أهميته، وبخاصة وأنه قد تم إحالة ٢٦ شابا إلى القضاء يومها وصدرت بحقهم أحكامٌ تراوحت ما بين سنة إلى خمس سنوات، بتهمة العمل لإقامة الخلافة!

لقد أثبت حزب التحرير تمسكا منقطع النظير بفكرته التي قام يدعو إليها، متحملا في سبيلها شتى أنواع التضييق والملاحقة الأمنية، صابرا محتسبا لا يخشى في الله لومة لائم، حتى ارتبط اسمه بالخلافة وارتبطت الخلافة باسمه، وسيبقى على ذلك بإذن الله حتى تحقيق أهدافه باستئناف الحياة الإسلامية عن طريق الخلافة الراشدة التي بشر بعودتها رسول الله ﷺ بعد هذا الملك الجبري الجائر.

الخلافة حديث الوسط السياسي في زمن الثورات

نعم، لقد أصبحت الخلافة حديث الوسط السياسي في زمن الثورات، فالكثير يتحدث عنها كنظام سياسي حتى لو كان قادحا، فمن الواضح أنها أصبحت تشكل هاجسا وموضع نقاش، فلو لم يكن لها أثر في الواقع، ولم يوجد حزب عريق يتبنى أمرها لما انشغل أعداؤها بها وبالحديث عنها، لقد مر معنا حديث الدكتور رفعت السعيد عن الخلافة في مقاله «عن الخلافة وأوهامها»، وهجوم عبد الرحيم علي عليها وعلى دُعاتها، كما اعتبرها الكاتب الشهير فهمي هويدي هما كاذبا في مقاله «فصل في همنا الكاذب» على موقع الجزيرة نت بتاريخ ٢٠١٢/٠٩/١٤م استهله بالقول «تروج في مصر هذه الأيام مجموعة من الأساطير والشائعات التي استدعت إلى فضائها ما يمكن أن نسميه بالهم الكاذب، الذي بات يخيف بعضنا من أشباح وعفاريت لا وجود لها». ولعل الهم الأول والأبرز لهذا الرجل، والذي يراه هماً من هموم الأمة «الكاذبة»، هو الحديث عن عودة الخلافة الإسلامية، فهو يقول: «بعض تلك الأساطير وثيق الصلة بمستقبل الدولة وهويتها... ذلك أننا ما زلنا نقرأ تعليقات وتحليلات تتحدث عن إقامة الخلافة الإسلامية والدولة الدينية في مصر»، فالرجل يقول دون مواربة أن الحديث عن إقامة الخلافة الإسلامية هو حديث من أحاديث الأساطير، وإمعانا منه في تضليل القارئ يساوي بين الخلافة الإسلامية والدولة الدينية لينفر الناس منها، وليوهم القارئ أن الخلافة الإسلامية هي صنو الدولة الكنسية الدينية التي كانت قائمة في أوروبا إبان العصور الوسطى، وشتان بين هذه وتلك! وهو يعلم جيدا ذلك، ولكن الرجل سادر في غيه.

ثم هو بعد ذلك يقول: «أدري أن بعض المتدينين مهووسون بمسألة الخلافة التي تشكل ركنا أساسيا في مشروع حزب التحرير الإسلامي الذي نشأ في الأردن عام ١٩٥٣م، لكن أعضاءه لا يكادون يتجاوز عددهم أصابع اليدين في مصر على الأقل». وقبل أن نرد على الكاتب "الإسلامي" أنقل للقارئ الطامة الكبرى التي وردت في مقاله، إذ يقرر بكل صلف وكبرياء عهدناهما منه في كتاباته: «أما مسألة الدولة الدينية فإنها لا يستطيع أحد أن يأخذها على محمل الجد في هذا الزمان. لأنه لم يعد أحد يقبل فكرة القيادة التي تستند إلى الوحي أو الغيب في إدارة الدول»، ثم هو يقرر بعد ذلك أن «غاية ما يمكن أن يقال بحق المسألتين "الخلافة والدولة الدينية" هو أنهما من قبيل الأحلام التي تراود قلة استثنائية من الناس، إلى جانب أنه يتعذر تنزيلها على الأرض...».

لعل الكاتب يريد بمقاله هذا أن يصرف الأمة عن الإنصات والالتفاف حول دعاة الخلافة الذين أصبحت أصواتهم عالية في كل ربوع الدنيا، لقد اهتزت أركان عروش الغرب في بلادنا بتلك الأصوات التي تصدع صباح مساء بترديدها (الأمة تريد خلافة إسلامية)، وارتعدت فرائص الغرب مما يجرى في سوريا، إذ الثورة هناك مختلفة، تُرفع فيها رايات العقاب لتبشرنا بعودة عز الأمة من جديد بعودة الخلافة على منهاج النبوة. لقد كان الأولى بالأستاذ هويدي أن ينضم إلى الأصوات العالية في الأمة اليوم التي تطالب بحكم بالإسلام من خلال النظام الذي حدده الشرع لهذه الأمة وهو نظام الخلافة. أما أن يعتبره السيد هويدي «هماً كاذباً» وضرباً من «الخيال والوهم»، فهذا يحتاج إلى تفسير منه وهو يُلقب بأنه "مفكر إسلامي"! ونحن نسأله: أهذا ما تعتقده فعلا أم أنك تقول ما لا تعتقد مما لأةً لمن يتخوف من إقامة الخلافة؟

الحديث عن الخلافة يعني الحديثَ عن تطبيقِ الشريعةِ وتوحيدِ بلادِ المسلمين وقلعِ النفوذِ الاستعماري منها، وهو أمرٌ لا يُحتملُ لدى الدولِ الغربيةِ. فإذا كان كل هذا لا يخيف الكاتب الإسلامي، بل هو يطمح إليه ويتمناه فلينضم إذن للعاملين لتحقيق هذا الواقع، ولتحقيق بشرى رسول الله ﷺ، ووعد الله تعالى، ولا يكون في صف الغرب المرتعب من صحوة الأمة وانتفاضتها المباركة التي ستسفر عما قريب عن بزوغ نجم الخلافة من جديد، وليُخرج نفسه من صف المضبوعين بالغرب وبثقافته وأنظمته العفنة التي أزكمت رائحتها الأنوف.

إن الخلافة ليست وهما ولا شبحا ولا عفريتا يا أستاذ هويدي، وهل شن قادة الغرب فيما مضى حربا وهمية قضت على الخلافة "الشبح" في الحرب العالمية الأولى؟! ألم يكن القضاء على الخلافة هماً يسعى الغرب دائماً لتحقيقه؟ وقد حققه بعد الحرب العالمية الأولى. يقول كرزون وزير خارجية بريطانيا الذي هدمت الخلافة في عهده: «لقدْ قضينا على تركيا، التي لنْ تقومَ لها قائمةٌ بعدَ اليومِ... لأننا قضينا على قوتِهَا المتمثلةِ في أمرينِ: الإسلام والخلافة». ألم تطلع يا أستاذ هويدي على تصريحات زعماء الغرب بوش وبلير وبوتين وهنري كيسينجر ورامسفيلد وغيرهم الذين بات يؤرقهم تحرك الأمة الصاعد نحو استئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة؟ أم أنهم أيضا يحاربون «طواحين هواء»، ويتوهمون عدوا شبحا لا وجود له سوى في أذهان بعض «المتدينين المهووسين» بمسألة الخلافة الإسلامية كما تدعي سيادتك؟!

أما عن خلط الكاتب المتعمد بين الخلافة والدولة الدينية، فهو يصب في الاتجاه الذي رسمه لنفسه، وهو بذل الوسع في تنفير من لا يزال يراوح مكانه من أبناء الأمة، وما زال مترددا في الانضمام لقافلة الأمة التي تسير نحو إقامة

الخلافة. فالخلافة ليست دولة دينية، وشتان بينها وبين الدولة الدينية، فالدولة الدينية في تصور الغرب هي الدولة التي يكون الحاكم فيها ذا طبيعة إلهية (إلهاً أو ابن إله)، أو أنه مختار بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من الله تعالى حسب ما عُرف بنظرية الحق الإلهي، ويترتب على ذلك أن يكون الحاكم معصوماً من الخطأ، مسيراً بالوحي، في منزلة عالية لا يرقى إليها أحد من أفراد الشعب، وأنه لا يُعترض على أقواله أو أفعاله، وليس لأحد من حقوق تجاهه، بل عليه الخضوع التام لإرادته، حيث لا حق لأحد في مقاومته أو الاعتراض عليه، ومن البيِّن أن هذا التصور للحكم لا وجود له في الفقه السياسي الإسلامي، ولا في التاريخ الإسلامي، فالحاكم بشر خالص ليس له علاقة بالله إلا علاقة العبودية والخضوع لبارئه، يخطئ ويصيب، وللمسلمين الحق في متابعته ومراقبته ومحاسبته، بل هو واجب عليهم، وكذا مقاومته لو خرج عن حدود الشرع الذي يجب عليه التقيد به. فليتق الله الأستاذ هويدي، وليفرق بين الدولة الدينية ودولة الخلافة التي هي دولة بشرية، وليست دولة إلهية.

وهذا الكاتب «الإسلامي» الكبير بعد أن أوهم القارئ أن الخلافة دولة دينية، قال إنه لا يستطيع أحد أن يأخذها على محمل الجد، وهو يعنى هنا الخلافة، ولكنه استعاض عنها بجملة "الدولة الدينية" حتى يهرب من المأزق الذي وضع نفسه فيه بإنكاره للنصوص الشرعية التي تؤكد أن الخلافة فرض، وهي نظام الحكم في الإسلام، هذا النظام الذي أرسى قواعده الرسول ﷺ وسار عليه الخلفاء من بعده، وهو في الوقت نفسه يهرب من غضبة الأمة التي باتت تتشوق إلى اليوم الذي تُعَز فيه في ظل خلافة على منهاج النبوة، لأنها تؤمن وتصدق بوعد الله لها بالاستخلاف والنصر والتمكين والأمن، قال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥]، كما تؤمن وتصدق ببشارة المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وعدد فيه النبي ﷺ المراحل السياسية التي ستمر بها الأمة: نبوة، فخلافة على منهاج النبوة، فملك عضوض، فملك جبري، ومن بعده: «**خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**».

أما قول الكاتب إنه «لم يعد أحد يقبل فكرة القيادة التي تستند إلى الوحي أو إلى الغيب»، فهذه مغالطة مقصودة لصرف ذهن القارئ في الاتجاه الخاطئ، فصحيح أن الخليفة أو الحاكم المسلم بعد رسول الله ﷺ لا يستند في قيادته للناس إلى الوحي، فهو يخطئ ويصيب ولا يوحى إليه، ولكنه يستند فيما يطبقه من أحكام إلى الوحي لأنها كلها مستنبطة من نصوص القرآن والسنة وما أرشدا إليه من إجماع صحابة وقياس علته شرعية، فنحن نهيب بمفكر مثل فهمي هويدي أن لا يقع في هذا الخلط والمغالطة.

إن الكثرة الكاثرة من المسلمين تدرك أن الإسلام دين ومنه الدولة، وأن على القيادة أو ولي أمر المسلمين أن يطبق الأحكام الشرعية تطبيقاً كاملاً، قال تعالى: ﴿**وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ**﴾ وقال أيضا: ﴿**إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ**﴾ وقال: ﴿**أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠**﴾.

كلمة أخيرة للأستاذ هويدي، نعم... إن الخلافة تشكل ركنا أساسيا في مشروع حزب التحرير الإسلامي، وقد استطاع الحزب بفضل الله تعالى أن يجعل منها مشروعا ومطلبا للأمة، وهو بفضل الله يمتلك دستورا متكاملا جاهزا للتطبيق ليؤكد للأستاذ هويدي ولمن هم على شاكلته أن الخلافة ليست من قبيل الأحلام التي تراود قلة استثنائية من الناس، وأنه يتعذر تنزيلها على الأرض كما يدعى، إن حزب التحرير يحملُ للعالمِ مشروعاً حضارياً متكاملاً يضمنُ الحياةَ المطمئنةَ والرفاهيةَ للبشر، يحملُ لهم مشروعَ الخلافة، الأملَ الوحيدَ الذي تبقّى للبشريةِ للتخلصِ من ضنكِ وجورِ الرأسماليةِ التي عاشت على مصِ دماءِ البشر وظلمِهم ونهبِ خيراتِهم... خلافة ستنيرُ للبشريةِ دربَها وتحفظُ دماءَها وخيراتِها... خلافة تقدمُ أبناءَها قرباناً لنشر الخيرِ والهدى للعالم... خلافة لا يهدأُ لها بالٌ ولا يستقرُ لها حالٌ إلا بجعلِ البشرِ ينعمونَ بحياةٍ آمنةٍ مطمئنةٍ في ظلِ عدلِ شِرعةِ السماءِ دونَ أن ينتقصَ من حقِ البشرِ أو الدواب شيئاً... إنها خلافة حُقَ لها أن تُسمى بمشعلِ الهدايةِ في هذا الليلِ البهيمِ، وأملِ هذه الأمةِ والعالمِ من بعد ما حلَ بالبشريةِ داءُ الرأسمالية.

وبرغم أن الأستاذ هويدي يرى أن الانشغال بالخلافة هو انشغال بهم كاذب كما مر معنا في مقاله السابق، إلا أنه عاد من جديد للحديث عنها في مقال بعنوان «الخلافة الحقيقية والموهومة»، نشرته له جريدة الوفد في ٢٠١٢/١١/٤م، أي بعد أقل من شهرين من مقاله السابق، وهذا الأمر له دلالته الخطيرة...، فالرجل يُصاب بالرعب والقلق كلما ذُكرت الخلافة، ومن يعمل لإقامتها كحزب التحرير، ولذا فإن هوسه بالخلافة هو هوس يجعله لا يطيق السكوت وعدم الانشغال بهَمّ الخلافة "الكاذب" – على حد وصفه –،

فتراه يهاجمها في كل وقت وحين، في برنامج «على مسؤليتي» في قناة الجزيرة، وفي مقال على موقع الجزيرة نت، وعلى صفحات جريدة الشروق.

فالرجل يريد أن يُطَمئِن كل من يتخوف من عودة الخلافة جراء إرهاصات عودتها التي انتشرت الآن في كل مكان في العالم العربي والإسلامي، فيقول «فحين تحدث رئيس وزراء تونس عن أن الثورة تهيئ فرصة مواتية لتمثل الخلافة السادسة (خلافة عمر بن عبد العزيز التى ساد فيها العدل والأمن) قامت الدنيا ولم تقعد بين بعض شرائح المثقفين في تونس، واعتبروا ذلك تمهيدا لإعلان دولة دينية بديلا عن الدولة الديمقراطية. وحين قال أحد الدعاة في مصر إن الثورة تعد بداية لإقامة دولة الخلافة التي ستكون عاصمتها القدس، صاح نفر من المثقفين محتجين وغاضبين، ووجدت أن بعض الباحثين اعتبروا هذا الكلام مرجعا استشهدوا به في التعبير عن تشاؤمهم وعدم اطمئنانهم للمستقبل. حدث مثل ذلك أيضا حين ردد بعض أعضاء حزب التحرير كلاما مماثلا في منشورات وزعت أثناء مظاهرات ميدان التحرير، وهو الكلام الذي يلوكه المنتسبون إلى الحزب منذ نحو ستين عاما، ولم يأخذه أحد على محمل الجد حتى الآن. وقد استغربت حين وجدت بعض الأكاديميين يتكلمون بشكل جاد عن مخططات إقامة الخلافة، وتضاعف استغرابي حين ردد أحد وزراء الخارجية الخليجيين هذا الكلام، وكأن التحضير لإعلان الخلافة على وشك الصدور».

والكاتب هويدي يتمنى في مقاله أن يتعامل المتخوفون من عودة الخلافة كما تعاملت على حد زعمه السلطات الألمانية مع إعلان أحد «الدراويش» الأتراك المقيمين في ألمانيا نفسه خليفة للمسلمين، حيث ادعى أنها لم تكترث

بالموضوع «واعتبرت أمثال تلك الدعاوى من قبيل الفرقعات أو التصرفات غير المألوفة التي تصدر عن المواطنين فى أي مجتمع مفتوح، لهم أن يعبروا عن أنفسهم كما يشاءون طالما أن ذلك في حدود القانون.».

فإنا نتساءل: ألا يقرأ هذا الرجل "المفكر" الأخبار ويتابعها؟! فهل غاب عن عينه وعن مطالعته أن الدولة الألمانية تعاملت بكل قمع وقسوة مع هذا الدرويش واسمه "ميتين قبلان" وجماعته واسمها "دولة الخلافة"؟ ألم يعلم أنها حظرتها على كل التراب الألماني حظراً نهائياً وقامت بإغلاق كل مساجدها وجمعياتها ومؤسساتها، وصادرت جميع ممتلكاتها المنقولة وغير المنقولة؟ وللعلم فإن هذا الأمر لم يتم البارحة، بل حدث منذ أكثر من عشر سنوات مضت، حين استغلت الحكومة الألمانية أحداث ١١ أيلول/سبتمبر لتغير قانون حماية الجماعات الدينية، كي تتمكن من ملاحقة كل من لا يروق لها ممن يحمل فكراً يخالف الفكر الرأسمالي العلماني، وبالذات إذا كان إسلامي التوجه! ثم ألم يقرأ ويطالع هذا "المفكر" الأخبار ليعلم أن ألمانيا لم تكتفِ بهذا بل ألغت إقامة هذا "الدرويش" على أراضيها وأصرّت بعد شد وجذب قانوني دام سنتين على ترحيل "الدرويش" إلى بلده الأصل تركيا حيث تم اعتقاله مباشرة فور وصوله المطار، وهو الآن قابع في السجن التركي منذ ذلك الحين رغم إصابته بمرض سرطان البروستات؟

إن ألمانيا هذه التي انبهر بها هويدي، وانخدع ببعض أقاويل ساستها ولم يدرك واقعها، لتدرك خطورة الدعوة التي يحملها حزب التحرير على الغرب ونفوذه إدراكاً تاماً، وهذا ما صرح به وزير داخليتها آنذاك "أوتو شيلي"، حيث أعلن يوم أمر بمنع نشاط الحزب على الأراضي الألمانية: "لقد تقصدنا

القيام بهذا الإجراء ضد الحزب في هذا الزمن المبكر، قبل أن ينتشر فكره ونشاطه على الأراضي الألمانية". ولذلك تعاملت مع الحزب بقسوة، ونسيت كل ما تتشدق به مما يسميه الأستاذ هويدي "حرية رأي وتعبير تكفله الدولة الألمانية في مجتمعها المفتوح". هذا ما وصل إليه الغرب بحضارته! فأين هذا من حقوق الذميين في دولة الخلافة، الذين لا يؤمنون بمنظومة الإسلام، بل ويعتقدون أن الرسول المصطفى ﷺ هو كاذب دجال والعياذ بالله! ومع ذلك تكفل لهم دولة الخلافة جميع حقوق الرعية، وتساوي بينهم وبين المسلمين في رعاية الشؤون وأمام القضاء، وتضمن لهم عيشاً كريماً هنيئاً سواءً بسواء.

أستاذ هويدي، أنت تقول إن أي باحث مبتدئ يعرف «أن الخلافة الراشدة تجربة غنية وعظيمة في الخبرة الإسلامية، لكنها تحولت إلى ملك عضود بعد ذلك لا يقيم العدل ولا يصح للاحتذاء»، ونحن نقول لك إن أي باحث مبتدئ يعرف أيضاً أن تحوُّل الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض بعد فترة ما، لا ينفي أنها نموذج يمكن الاحتذاء به، والبناء عليه، حتى إن الخلافة أثناء هذا الملك العضود الذي تنفر منه هي أفضل ألف مرة من هذا الواقع المأساوي الذي يعيشه المسلمون منذ أن قضي على دولة الخلافة سنة ١٩٢٤م في إسطنبول.

لقد تمنينا أن يكون اهتمام الأستاذ هويدي بالخلافة اهتماما حقيقيا على اعتبار أنها حكم شرعي واجب التطبيق، وهي بهذا المعنى تصب في صالح الأمة، لا أن يكون اهتمامه بها اهتمامَ هدم وتثبيط للهمم والعزائم، ولا شك أن هذا الدور الذي يمارسه يصب في صالح أعداء الخلافة وأعداء الأمة، فالرجل يعتبر أن الخلافة التي يسعى لها حزب التحرير، والتي تشكل أمنية غالية

لقطاع عريض في الأمة، يعتبرها خلافة موهومة، وأضغاث أحلام وفرقعات في الهواء ومزايدات لبعض المراهقين في عالم السياسة. بينما يعتبر أننا نعيش الآن في ظل خلافة عظمى أخرى يقودها الرئيس الأمريكي الذي يبسط نفوذه على العالم الإسلامي، فيعين الولاة ويؤدب العصاة ويستقبل الخراج كل عام (في شكل خدمة ديون لقروض ربوية). ويوزع الرضا والسخط على أقاليمه. وأن تلك هي "الخلافة الحقيقية" المقامة على الأرض الآن!

ولم يبق للكاتب هويدي إلا أن يقول بأن المطلوب من الأمة الإسلامية أن ترضى بتلك الخلافة الأمريكية! وتعيش في كنفها وترضى بحكمها، وعليها السمع والطاعة في المنشط والمكره، وألا تخلع يد الطاعة للرئيس الأمريكي، وأن على الحركات الإسلامية العاملة لإقامة الخلافة أن تدرك أن الخلافة قائمة عند "العم سام"، وأن على تلك الحركات – وعلى رأسها حزب التحرير – أن تستريح من عناء العمل الشاق لإقامة الخلافة الإسلامية، كما وعليها أن تُريح الكاتب هويدي وأمثاله ممن يؤرقهم الحديث عن الخلافة وإقامتها، ليستريح من وراءهم الغرب الكافر الذي لا زال يتذكر الضربات المؤلمة والمميتة التي تلقاها من دولة الخلافة الإسلامية عبر القرون.

حلم الخلافة ومعاندة حركة التاريخ

تحت هذا العنوان كتب الدكتور محمد فايد هيكل الأستاذ في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الأزهر الشريف مقاله في صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢٩م، وصور في هذا المقال تاريخ دولة الخلافة تصويرا مشوَّها ونعى الكاتب على الحالمين بالخلافة استغلالهم بساطة تفكير العامة، وسرد بعض الحكايات التاريخية التي يصعب التحقق من صحتها، بغية التنفير من الخلافة، وتعمد حشد مناقص وأخطاء على صعيد واحد ليخلص إلى أن الخلافة كانت فاشلة، وطلب من المسلمين ألا يصدقوا الروايات التاريخية التي تتحدث عن الثراء الذي عم البلاد والعباد في طول البلاد الإسلامية وعرضها إذ يرى هو أن الثراء كان حكراً على الحكام والمقربين، ثم يختم كلامه مبيناً غايته من مقاله بأن "العالم الغربي توصل بعد جهود تاريخية إلى الدولة المدنية الحديثة وإلى استقلال الدول والاكتفاء بتعاونها في حدود المصالح المشتركة، وسرى هذا النهج من التفكير إلى العالم الشرقي وتوافقت البشرية عليه إلا من شذ". لقد أمعن الدكتور في التلبيس والتضليل وأغفل عن عمد الحقبات المشرقة من تاريخ الأمة السياسي وهي كثيرة، فيما غره واقع الفكر الغربي والنظام السياسي في العصر الحديث، وأهمل ذكر ما جره الغرب ونظامه السياسي على العالم من حروب وكوارث وامتصاص للدماء وإفقار للبلاد والعباد في طول الدنيا وعرضها، وهي حقائق ماثلة لا تحتاج إلى دليل

تاريخي، وشواهد قائمة دالة على أن النظام الغربي هو المعاند لحركة التاريخ لا الخلافة الإسلامية التي ملأت جوانب التاريخ بالعز والنصر والعدل.

ونشرت صحيفة الأهرام في ٢٠١٢/٤/٧م تحقيقا بعنوان «حلم دولة الخلافة»، وبدأ التحقيق بالقول: «انتشرت في الأيام الأخيرة ملصقات على جدران المنازل وأسوار الكباري تطالب بدولة الخلافة، ولا أحد يعلم من وراء هذه الملصقات»، وفي هذا التحقيق يقول الأستاذ مصطفى السيد أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة: إن الخلافة «حلم يستحيل تطبيقه»، ويقول الدكتور عطية القوصي أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة القاهرة: «إن من يتحدث عن إعادة دولة الخلافة في هذه الظروف لم يقرأ التاريخ ولا يعلم عنه شيئا»، وفي ٢٠١٢/٤/٢٦م نشر موقع «الأقباط متحدون» مقالا بعنوان «أدوار الدولة الإسلامية» للكاتب القبطي شريف منصور، هاجم فيه الدولة الإسلامية وتهكم عليها تهكما شديدا، وفي ٢٠١٢/٧/٢٧م نشرت جريدة التحرير في صفحتها الأخيرة مقالاً للأستاذ جمال فهمي عضو نقابة الصحفيين بعنوان «بين الخلافة والإرهاب»، وكان مما جاء فيه قوله: «فجَّر نفر قليل من الناس – يعلنون عن أنفسهم أنهم أنصار إحياء ما يسمى "بدولة الخلافة" الإسلامية – أزمة مع نقابة الصحفيين بعدما رفضت الأخيرة السماح لهم باستغلال إحدى قاعاتها لإقامة مؤتمر يدعو إلى عودة نظام "الحاكم الخليفة"». وهو يشير للمؤتمر الذي كان مقررا أن يقيمه حزب التحرير في ٢٠١٢/٧/٧م في نقابة الصحفيين، وتحت الضغط الذي مورس عليها من قبل بعض العلمانيين وأعداء الخلافة في مصر أعلنت

النقابة رفضها لعقد مثل هذا المؤتمر بالنقابة تحت حجج واهية، مع أنها كانت قد تعاقدت مع مندوب الحزب منذ أشهر لعقد هذا المؤتمر ووافقت عليه وأقرته، وفي ٢٠١٢/١٠/٣م نشرت جريدة الدستور المصرية مقالا للدكتور علي أبو الخير بعنوان «الخلافة على حقيقتها»، ويبدو أن الدكتور مغرم بمشاهدة الأفلام والمسلسلات التركية، ويريد للأمة الإسلامية أن تتعرف على تاريخها من خلال مشاهدة الأفلام، ويبدو أيضا أن مسلسل "حريم السلطان" التركي يشكل مرجعا شرعياً له للتعرف على الخلافة على حقيقتها كما يدعي!!

هذا قليل من كثير مما نشر في مصر من مقالات عن الخلافة، ناهيك عن التصريحات المتعددة المختلفة، وبعض التعليقات من بعض الإعلاميين والسياسيين عن فكرة الخلافة التي أصبحت هاجسا يشغل بال الغرب وأعوانه وأزلامه وأبواقه في بلادنا، وفي هذا دلالة على أن الخلافة لم تعد فكرة مجهولة لدى الأمة، بل أصبحت محور حديث الخاصة والعامة، ومطلبا تُرفع رايته في سوريا ومصر وتونس وغيرها من بلاد المسلمين، وما هي إلا مسألة وقت حتى نراها ماثلة أمام الأعين إن شاء الله في حركة موافقة لسنن الله في الخلق من غير معاندة، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

عداء العلمانيين لمشروع الخلافة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهِنَّ الكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهِنَّ الصَّادِقُ، وَيَخُونُ فِيهِنَّ الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهِنَّ الرُّوَيْبِضَةُ**». [رواه الحاكم في المستدرك]، قال الإمام الشاطبيّ: قَالُوا الرويبضة: هُوَ الرَّجُلُ التَّافَهُ الحَقِيرُ يَنْطِقُ فِي أُمُورِ العَامَّةِ، كَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي أُمُورِ العَامَّةِ فَيَتَكَلَّمُ. [الاعتصام]، ونحن اليوم في زمن الأوهام، زمن تَسوَّد فيه رويبضات، إما على رقاب الناس، فكانوا حكاما تافهين ينطقون في أمر العامة، وإما رويبضات تسلطوا على عقول الناس، يُصدّرون للناس أوهامهم باعتبارها حقائق لا تقبل الجدال، ولعل واقع حكامنا على مدار عقود مضت، يكاد يكون من المسلمات لكن الذي يخفى على البعض هو واقع رويبضات سُلطوا على عقولنا لزمن طويل، فتصدروا الشاشات وصفحات الجرائد ومواقع الإنترنت، وأُبرزوا على أنهم قامات فكرية عملاقة، بينما هم بالفعل أدوات في يد أعداء الأمة يستعملونهم لضرب عقيدة الأمة وتاريخها وتراثها التليد، وهم يقومون بحشو عقولنا بتفاهات الفكر الغربي المأزوم الذي عطل الحياة الحقيقية في بلدان العالم الإسلامي. فتراهم يرددون ألفاظ الديمقراطية والحرية والإخاء والمساواة ترديد من لا يدرك معناها ولا يعي حقيقتها، وتراهم يتصدرون المشهد الفكري والثقافي في مصر، بل وفي غيرها من بلاد المسلمين، ويحظون بالدعم المالي والسياسي من قبل القائمين على المؤسسات الثقافية في بلادنا، التي أصبحت

حكراً على أناس ينفرون من الأمة ومن دينها وتاريخها بينما يمجدون تاريخ أعدائها وحاضرهم.

قد يظن معادو الإسلام من العلمانيين والليبراليين والديمقراطيين أنهم قادرون على قيادة الأمة وصرفها عن إسلامها، بوصم من يحمل هَمَّ جعله مطبقا في واقع الأمة بالإرهاب، ولكنهم مخطئون، فالأمة ترى مشاكلها تتراكم وتزداد يوما بعد يوم في ظل "الدول الوطنية" المحصورة الفاشلة التي أورثها الاستعمار أراضي الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، ولم تستطع منظومة الدول الوطنية العلمانية الديمقراطية تلك أن تنهض بشعوبها فضلا عن أن توقف تدهورها. والأمة تدرك في أعماقها أن حلول كل مشاكلها تكمن في الإسلام، وتزداد قناعتها يوما بعد يوم بأن مشروع نهضتها الحقيقي يكمن في مشروع الخلافة العظيم وحده، فالخلافة رمز عزتها ووحدتها وكرامتها، وهي من سيقطع دابر هؤلاء ومن يقف خلفهم من دول الكفار المستعمرين.

أين الحركات الإسلامية من مشروع الخلافة؟

لم يظهر على الحركات الإسلامية باستثناء حزب التحرير أنها تسعى بشكل جدي لإقامة الخلافة الإسلامية، وإن ذكر لفظ الخلافة في بعض أدبياتها على استحياء، ولم تقم هذه الحركات بتوضيح معالم مشروع الخلافة ولا بذكر تفاصيل أحكامه وأدلته، بوصفه مشروعاً سياسياً للأمة، بل رأى بعضها أن رفع لواء الخلافة بشكل واضح وعلني سيجعل الغرب يصفها بالتطرف والإرهاب، فآثرت السلامة وأرادت أن تظل ضمن التصنيف العالمي للتيارات "المعتدلة". وبدلاً من أن تعمل على تبني أفكار الإسلام وأحكامه والمجاهرة بها لتعلو على الدين كله، وتصل عن طريق ذلك إلى الحكم، أخذت تلبس شعار الديمقراطية وتتلفع بدثار العدالة والحرية، فكانوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا مخالفين قول الله سبحانه: ﴿**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا**﴾ [النحل: ٩٢]، ووصل الحال ببعضهم إلى القول: «إننا على قناعة بأنه لا يمكن إحداث تغيير في العالم الإسلامي بدون أمريكا»، كأن أمريكا هي صاحبة القول الفصل في العالم، ونسوا أو تناسوا أن الله القوي العزيز قد أهلك من القرون من هو أشد منها قوة وأكثر جمعاً، وأن من والى غير الله كان إلى ضعف وهوان ولو بعد حين: ﴿**مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾**﴾.

لقد سارت بعض الحركات الإسلامية في مسار الديمقراطية ووصلت لأعلى مناصب الحكم، ولكن انقلب عليها الديمقراطيون والدول الديمقراطية،

وبدل أن ترجع إلى دين ربها وشرعه وتتمسك بهما، تجدها تدعو للشرعية الديمقراطية وتراهن عليها وتطلب ود دول الغرب التي مكرت بها وأسلمتها، كأنها لم تسمع قول النبي ﷺ: «**لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**» أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لقد وجه القرآن الكريم نداءه الحق إلى أتباع الحق حين قال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٠٩**﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢٠٩]. وهي دعوة للمؤمنين باسم الإيمان، بهذا الوصف المحبب إليهم، الذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله، هي دعوة للذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة، أي في الإسلام بكل أحكامه وشرائعه، وألا يتخلوا عن شيء منه. ووعد الله سبحانه وتعالى في كتابه ووعده الحق فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧**﴾ [محمد: ٧]، ونصرنا لله يكون باتباع شرعه في كل كبيرة وصغيرة، وفي العمل الجاد المخلص لوضع شريعته سبحانه وتعالى موضع التطبيق في ظل خلافة على منهاج النبوة، لنحمل بعد ذلك رسالة الإسلام دعوة للعالم نخرجه بها من ظلمات الرأسمالية وعفن الديمقراطية إلى نور الإسلام. ولذلك لا يصح من المسلم ولا من الحركات الإسلامية استبعاد الدعوة إلى إقامة الخلافة الإسلامية والاستعاضة عنها بالدعوة إلى الديمقراطية والدولة المدنية، ولا يجوز لهم طلب رضا أمريكا وغيرها من دول الغرب، بل عليهم التوجه الخالص إلى الله سبحانه وتعالى طالبين العون منه وحده. قال تعالى: ﴿**بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝١٥٠**﴾ [آل عمران: ١٥٠].

خاتمة

وختاماً ندعوكم أيها المسلمون:

ندعوكم للعمل الجاد المجد مع حزب التحرير الواصل ليله بنهاره لإعادة الخلافة الراشدة، فالخلافة هي الحصن الحصين والحبل المتين وأمن الآمنين وملاذ الخائفين وقبلة التائهين، فيها عدالة السماء وفيها الرغد والهناء، هي القصاص والحياة وهي المعاش والثبات، وهي السبيل لإعلاء كلمة الله ﷻ.

وبالخلافة وحدها تعود مصر الكنانة قاهرة الصليبيين والتتار، إلى سابق عزها ومجدها، ناشرة للخير في ربوع العالم، فتكون أم الدنيا بحق باحتضانها لأم المسلمين؛ الخلافةِ الراشدة، فترفرف راية العقاب راية رسول الله ﷺ عالية خفاقة فوق ربوع القاهرة، فتقهر أعداء الله الكفار المستعمرين وتُعز المسلمين المؤمنين، ليعلن التاريخ بدء عهدٍ جديدٍ يشع نوراً وخيراً على البشرية جمعاء... عندها فحسب يحق للمؤمنين الصادقين والمؤمنات القانتات أن يكبروا بعزٍ وشموخ وهم مقبلون على ما يُحبون:

﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾.

٢ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ	**حزب التحرير**
٣ آذار/مارس ٢٠١٤م	**ولاية مصر**